

الفصل الثالث

«الفتح الإسلامي لخراسان وبلاد ما وراء النهر»

تمهيد: فضل الجهاد وطبيعة الفتح الإسلامي.

المبحث الأول: الفتح الإسلامي لإقليم خراسان:

١- خلافة عمر بن الخطاب. ٢- خلافة عثمان بن عفان.

٣- خلافة علي بن أبي طالب.

المبحث الثاني: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر:

١- خلافة معاوية بن أبي سفيان.

٢- المحاولات المبكرة لفتح بخارى.

٣- عبد الملك بن مروان واستئناف حركة الفتوحات الإسلامية.

المبحث الثالث: قتيبة بن مسلم وإتمام الفتح الإسلامي لبلاد

ما وراء النهر:

١- فتح طخارستان والطارقان والصغانيان.

٢- فتح إقليم بخارى.

٣- فتح خوارزم وسمرقند.

٤- فتح فرغانة والشاش وكاشغر.

٥- نهاية قتيبة بن مسلم الباهلي.

التمهيد: فضل الجهاد وطبيعة الفتح الإسلامى

من الثابت تاريخياً أن الدين الإسلامى جاء إلى كافة أرجاء العالم بجميع أجناسه؛ فلا فرق بين أبيض ولا أسود قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣٠٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣٠٣).
فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية^(٣٠٤). لذا فقد كان - وما يزال - من الواجب على المسلمين تبليغ دعوة الله تعالى لجميع أجناس الأرض ولما كان ذلك لا يتم إلا بالجهاد؛ فقد أصبح له مكانة عالية فى الإسلام. ومع أن الله تعالى ملك الملوك، وخلق عبيده، وهو سبحانه يفعل فى ملكه ما يريد، مع هذا فقد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم - إحساناً منه وفضلاً - بأن لهم الجنة. وقد ذكر ذلك العقد الكريم فى كتابه الحكيم. فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُون فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ

(٣٠٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٣٠٣) سورة سبأ، آية ٢٨.

(٣٠٤) عباس محمود العقاد: الإسلام دعوة عالمية، ص ١١٧، وما بعدها. ود. شوقي ضيف؛

عالمية الإسلام، ص ١٣ وما بعدها.

الْفَوْزَ الْعَظِيمُ ﴿٣٠٥﴾ فالجهاد فى سبيل الله أعلى التجارات مع ملك الملوك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣٠٦﴾ وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿٣٠٧﴾.

وجاءت السنة النبوية المطهرة لتؤكد هذا المعنى ، أعنى فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى لنشر الإسلام ، ولرفع كلمة التوحيد قال (صلى الله عليه وسلم): «أفضل الناس مؤمن مجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله ، ثم مؤمن فى شعب من الشَّعَابِ يَتَّقَى الله وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» (٣٠٨) وقال: «أفضل العمل الصلاة لوقتها والجهاد فى سبيل الله» (٣٠٩) وقال: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» (٣١٠). ولقد بشر المعصوم صلى الله عليه وسلم المسلمين بأنهم سيحاربون الترك ، فقال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حُمْرُ الوجوه ، ذُفْلُ الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة. ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قَوْمًا نعالهم الشُّعْر» (٣١١). وهذا قليل من كثير من الأحاديث التى تحت المسلمين على التسابق إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى.

(٣٠٥) سورة التوبة ، آية ١١١.

(٣٠٦) سورة البقرة ، آية ١٥٤.

(٣٠٧) سورة آل عمران ، آية ١٦٩.

(٣٠٨) صحيح ، رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(٣٠٩) صحيح ، رواه البيهقى فى شعب الإيمان. وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

رقم (١١٢٣).

(٣١٠) رواه أحمد ومسلم والترمذى.

(٣١١) صحيح. ابن حجر: فتح البارى ، ج٦ ، ص ١٢٢ ، رقم (٢٩٢٨). وصحيح مسلم بشرح

النووى ، ج٩ ، ص ٢٣٣ ، رقم (٢٩١٢) ، سنن أبى داود ، ج٤ ، ص ١١٢ ، رقم (٤٣٠٢). وعن

شرح هذه المعانى انظر العظيم آبادى: عون المعبود شرح سنن أبى داود ، ج٧ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

وقد أصبح الآن من نافلة القول، الرد على من ادعى أن الإسلام قد انتشر بحد السيف^(٣١٢)، ولكن الحقيقة، أن الإسلام قد انتشر على يد أصحابه المؤمنين به، الذين جاءوا: «ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة». يقول أحد الباحثين المحدثين عن طبيعة الفتح الإسلامى إن: «المتتبع لتاريخ حركة الفتوحات الإسلامية، خارج شبه الجزيرة العربية، منذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م) يدرك أن هذه الفتوحات جاءت استطرادا، وتحت ضغط الظروف، أو بمعنى آخر يدرك أن المسلمين اضطروا لهذه الفتوحات اضطراراً. فلم يكن هناك برنامج - معد سلفاً - للفتح أو للصدام المسلح مع الآخرين، لأن نشر الإسلام الذى هو غاية المسلمين الأولى لم يكن يتطلب بالضرورة أعمالاً حربية، فالدين إيمان يقر فى القلوب، والقلوب لا يستطيع أحد أن يفرض عليها شيئاً بالقوة، وكل ما كان يطلبه المسلمون أن يفسح الناس لهم طريق الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بدون عوائق أو موانع»^(٣١٣).

هذا النص يوضح لنا فى جلاء طبيعة الفتح الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها. ورحم الله تعالى أصحاب نبينا محمد - ﷺ - الذين تحملوا المشاق والصعاب فى سبيل نشر كلمة التوحيد ولما اطلع المولى سبحانه وتعالى على صدق ما فى قلوبهم؛ سدد خطاهم، وخطى من جاءوا بعدهم فاستطاعوا فتح الدنيا فى أيامهم ونستطيع

(٣١٢) لمزيد من التفاصيل انظر: أبو يوسف: الخراج، ص ٢٠٩ وما بعدها. عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومة، ص ١١٦ وما بعدها. أبو الأعلى المودودى: شريعة الإسلام فى الجهاد والعلاقات الدولية، ص ١١٥ وما بعدها. محمد شديد: الجهاد فى الإسلام، ص ٩٩ وما بعدها.

(٣١٣) د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص ٢١٥.

القول «إن المسلمين الأوائل فتحوا في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون... وأزالوا القوى العظمى التي استعمرت الشرق وقهرته - دينياً، وثقافياً، ولغوياً، وحضارياً - أكثر من عشرة قرون... وبهذا الفتح الإسلامي من المغرب غرباً إلى الصين شرقاً، ومن حوض الفولجا شمالاً إلى جنوب خط الاستواء»^(٣١٤). استطاع المسلمون الأوائل أن يبنوا دولة لم تسبقها من قبل دولة في الامتداد والرقعة، ولم تلحقها من بعد إلا إمبراطوريات العصر الحديث وحدها، بل هي في نظر العالم الجغرافي ماكيندر Mackinder - الإمبراطورية العالمية World Empire الأولى في التاريخ^(٣١٥)، والحقيقة - أخيراً - أن دولة العرب الإسلامية هي أول فصل في جغرافية التحرير، وهي أبعد شيء عن جغرافية الاحتلال والغصب.

والآن... نمضي مع حركة الفتح الإسلامي لإقليم خراسان والذي مهد لفتح بلاد ما وراء النهر.



(٣١٤) د. محمد عمارة: فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية، ص ٨٢.

(٣١٥) د. جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، ص ٢٦ - ٣٠.

المبحث الأول

الفتح الإسلامي لإقليم خراسان

قبل الحديث عن الفتح الإسلامي لخراسان، يحسن بي أن ألقى نظرة جغرافية سريعة عن طبيعة هذا الإقليم.

قسم الجغرافيون العرب^(٣١٦) خراسان إلى أربعة أقسام رئيسة عرف كل قسم منها باسم عاصمته. وهذه الأقسام هي: مرو، نيسابور، بلخ، هراة. وكانت مرو هي العاصمة الرئيسية للإقليم حتى قام الطاهريون (٢٠٥ - ٢٥٩هـ / ٨٢١ - ٨٧٣م) بنقلها إلى نيسابور. وهذه المنطقة تقع - حالياً - ضمن دول إيران، وأفغانستان، والاتحاد السوفيتي السابق. أما عن السكان الأصليين لهذه المنطقة قبل الإسلام، فهم خليط من الترك والفرس، وقد يظن البعض أن خراسان كانت تابعة للدولة الفارسية وذلك لوقوعها في أقصى الطرف الشمالي الشرقي للدولة الإسلامية؛ وربما لأن فارس كانت لها دور كبير في مصير هذه المنطقة، ومن ثم سادت فكرة أن خراسان تابعة للإمبراطورية الفارسية^(٣١٧).

ولكن الحقيقة، إن إقليم خراسان هو إقليم مستقل، وغير مقترن بفارس، بل لكل منهما ولاية. وله عاصمته، بل ويوجد بينهما حدود مشتركة، ومساحات شاسعة تشمل ولايات: المفازة الكبرى، وقهستان، وسجستان.

(٣١٦) الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٤٥، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢١٨ - ٢١٩، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٢٣ وما بعدها.
(٣١٧) د. محمد أحمد حسب الله: في تاريخ دولة بني العباس، (ب-ت)، ص ٥ - ٦.

أما عن مسألة الفتح الإسلامي لخراسان؛ فإنها تعود إلى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب [١٣- ٢٣هـ / ٦٣٤- ٦٤٤]، حين أمر جند المسلمين بالانسياح في الإمبراطورية الفارسية فدفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ثم أمده بعدد من القادة وهم: علقمة بن النضر، وعبد الله بن أبي عقيل، وربيع بن عامر التميمي، وذلك رأى فريق من المؤرخين^(٣١٨).

وكان السبب في ذلك، أن الملك يزدجرد - ملك فارس - بعد هزيمته في معركة جلولاء، فر إلى الري، ومنها إلى أصبهان، ثم إلى كرمان، ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها. وبنى بها بيتاً لعبادة النار. ودانت له الفرس. وأمن بذلك من أعدائه. فكتب الهرمزان، وأثار أهل فارس، وأهل الجبل ضد المسلمين فنكثوا العهد ومع أن المسلمين قد استطاعوا القضاء على ثورات الفرس في تلك المناطق، إلا أن عمر بن الخطاب أمر الأحنف بن قيس بالانسياح في بلاد فارس - كما سبقته الإشارة - فصار الأحنف إلى خراسان، فدخلها من الطبسين^(٣١٩) - وهما بابا خراسان - فأتى قوم من أهل القرية إلى الخليفة عمر بن الخطاب، فصالحوه على ستين ألفاً. وقيل خمسة وسبعين ألفاً يؤدونها للمسلمين كل عام. وكتب لهم الخليفة كتاباً بذلك^(٣٢٠).

أما الأحنف فإنه استطاع فتح هراة عنوة، واستخلف عليها صحر العبدى، ثم سار نحو مرو الشاهجان فلما اقترب منها هرب يزدجرد

(٣١٨) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤٣٤، ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص٣٢٢ وابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١١٥.
(٣١٩) الطَّبَّسَان: قصبة ناحية نيسابور وأصبهان، والطبسان أحدهما: طَبَس العُنَاب، والآخر: طَبَس التمر، وهي كلمة فارسية، ومعناها الأسود، ياقوت: نفس المصدر، ج٢، ص٢٥٠، لسترنج: نفس المرجع، ص٤٠١.
(٣٢٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٣٥.

إلى مرو الروذ. ففتح الأحنف مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة ابن النعمان. وفي نفس الوقت أرسل الأحنف قواده لفتح باقى البلاد. فاستطاع مطرف بن عبد الله بن الشخير فتح نيسابور. والحارث بن حسان فتح سرخس.

أما الأحنف فإن الإمدادات وصلته من الكوفة، فسار نحو مرو الروذ حيث يقيم يزدجرد، فلما سمع الأخير بقدوم جيش المسلمين هرب منها إلى بلخ. ونزل الأحنف مرو الروذ، واستخلف عليها خالد بن النعمان الذهلى، وواصل زحفه إلى بلخ، والتقى بيزدجرد الذى فر على أثر الهزيمة الساحقة التى نزلت به وبجيشه، فعبّر نهر جيحون، ونزل مدينة فرغانة. وظل مقيماً بها حتى انتهت خلافة عمر بن الخطاب.

سار الأحنف فدخل بلخ، وفتح البلاد من نيسابور إلى طخارستان - إحدى أقاليم بلاد ما وراء النهر - واستخلف عليها ربعى بن عامر التميمى. وعاد هو إلى مرو الروذ^(٣٢١). وكتب إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بفتح خراسان، فاستبشر الخليفة خيراً بهذا الفتح. وقال: «لوددت أنى لم أكن بعثت إلى خراسان جنداً، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار». وخشى الخليفة أن يتقدم الأحنف فى بلاد فارس والترك، فكتب إليه يقول: «أما بعد، فلا تجوزن النهر (جيحون) واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأى شىء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذى دخلتم به يدّم لكم النصر؛ وإياكم أن تعبروا فتتقصوا!!»^(٣٢٢) ثم جمع عمر الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح.

أما أهل خراسان فبعد رحيل يزدجرد عن بلادهم، صالحوا الأحنف ودفعوا إليه خزائن كسرى وأمواله. ثم سار الأحنف بجند الكوفة من مرو

(٣٢١) الطبرى: تاريخ الأمم، ٢-، ص ٥٤٦ - ٥٥٠.

(٣٢٢) ابن الأثير: الكامل، ٢-، ص ٤٣٧، النويرى: نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٢٧٥.

الروز إلى بلخ فأنزلهم بها. ثم عاد إلى مقر قيادته في مرو الروذ. وهكذا، استحق الأحنف بن قيس لقب «سيد المشرق المسمّى بغير اسمه»^(٣٢٣) كما يقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وأصبح الأحنف النذير الصادق بانتهاء الدولة الساسانية، واستطاع نشر الإسلام في ربوع تلك البلاد.

وبتولى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) خلافة المسلمين بدأت مرحلة جديدة من الفتح الإسلامي، فإن كان عمر بن الخطاب قد خشى على المسلمين من الانسحاق في بلاد فارس، فإن الخليفة عثمان كان على العكس، فقد سمح للمسلمين بذلك، لأنه رأى أن خير وسيلة لتأمين الفتوحات الإسلامية في المشرق هو القضاء التام على الإمبراطورية الفارسية، والتخلص النهائي من ملكهم الذى فر إلى فرغانة - كما سبقت الإشارة - وأخذ يستنجد بملوك الترك والصين. ومن جهة أخرى للقضاء على ثورات أهل فارس وخراسان التى اشتعلت بعد وفاة عمر بن الخطاب - (رضي الله عنه).

ففى سنة (٢٩هـ / ٦٤٩م) عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وولى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خمس وعشرين سنة^(٣٢٤)، ويذكر اليعقوبى أن الخليفة عثمان قد كتب إلى ابن عامر وإلى سعيد بن العاص عامله على الكوفة، يأمرهما بالنفوذ إلى خراسان، ويقول: «أيكما سبق إلى خراسان فهو أميرٌ عليها»^(٣٢٥) فاستعان عبد الله ابن عامر بأحد دهاقين خراسان فدله على طريق مختصر إليها.

(٣٢٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج-٢، ص ٤٠٨.

(٣٢٤) تاريخ خليفة، ص ٩٢، الدينورى: الأخبار الطوال، ص ١٩٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج-٧، ص ١٤٠، وفى ابن الأثير: الكامل، ج-٢، ص ٢٩١ وهو ابن خمس وخمسين سنة. (٣٢٥) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج-٢، ص ١١٥-١١٦، وكتابه: البلدان، ص ٢٩٥، على حين يذكر خليفة بن خياط، أن عثمان قد عزل سعيد بن أبى العاص عن الكوفة وجمعها لابن عامر. انظر تاريخ خليفة، ص ٩٢، ابن كثير: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ١٤٠.

على كل حال؛ أصبح عبد الله بن عامر والياً على البصرة، ووصلت مقدمة جيوشه إلى خراسان، فاستهل عام (٣٠هـ/٦٥٠م) بإرسال الأحنف ابن قيس ذلك القائد المحنك الدارس لطبيعة هذه البلاد من قبل - إلى خراسان فأتى الطبسين - بابا خراسان - فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم. فسار إلى قهستان فلقية أهلها، فقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم. ثم قدم عبد الله بن عامر وصالح أهلها.

ثم وجه ابن عامر الأحنف إلى طخارستان - إحدى مدن بلاد ما وراء النهر - فأتى الموضع الذى يقال له: «قصر الأحنف». وكان حصن لمدينة مرو الروذ، وله رستاق - مجموعة القرى - عظيم، صار يعرف - فيما بعد - برستاق الأحنف. فحاصر الأحنف أهله، فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم^(٣٢٦). ثم مضى الأحنف إلى مرو الروذ فصالح أهلها بعد قتال شديد.

ثم اجتمع له أهل طخارستان، والجوزجان، والطالقان، والفارياب ومن حولهم من المدن، فبلغوا ثلاثين ألفاً، ثم انضم إليهم أهل الصغانيان - من إقليم طخارستان - واقتتلوا قتالاً شديداً، حتى انهزم الفرس فطاردهم المسلمون حتى ألحقوا بهم خسائر فادحة فى الأرواح والأموال. غير أن الأحنف صالح أهل طخارستان على أربعين ألف، وقيل ستمائة ألف درهم^(٣٢٧).

ثم أرسل الأحنف، الأقرب بن حابس التميمي فى سرية من المسلمين - من بنى تميم - إلى الفارين إلى الجوزجان. وبعد جولة من القتال

(٣٢٦) الطبرى: تاريخ الأمم، ج٢، ص٦٣٠، ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص٢١ على أربعمئة ألف، وقيل سبعمئة ألف درهم.
(٣٢٧) البلاذرى: فتوح البلدان، ص٥٤٠، النويرى: نهاية الأرب، ج١٩، ص٤٢٣.

انتصر المسلمون وفتحت المدينة عنوة. أما الأحنف فإنه فتح الطالقان والقياب صلحاً. ثم سار إلى بلخ فصالح أهلها أيضاً. ثم تقدمت جيوشه إلى حصار خوارزم - إحدى أقاليم بلاد ما وراء النهر - غير أنه لم يقدر على فتحها، فعاد إلى بلخ مرة ثانية.

وهكذا نرى أن جيوش المسلمين قد وصلت إلى بلاد ما وراء النهر للمرة الثانية، وذلك بفتح طخارستان، ومحاولة فتح خوارزم وفي المرتين على يد القائد الأحنف بن قيس.

أما عبد الله بن عامر - فكان في نفس الوقت - يُرسل جيوشه للاستيلاء النهائي على إقليم خراسان، فأرسل يزيد الجرشي إلى رستاق نيسابور ففتح زم عنوة، ثم فتح باخرز، وجوين، ووجه ابن عامر الأسود ابن كلثوم العدوى إلى بيهق - من أعمال نيسابور - وحاول فتح المدينة، غير أنه سقط شهيداً في المعركة، واستطاع أدهم بن كلثوم - الذى تولى القيادة بعده - فتح المدينة^(٣٢٨).

وفى نفس الوقت كان ابن عامر قد نجح فى فتح مدن بشت، ورخ، وزاد، وخواف، واسبرائن، وأرغيان. ثم أتى مدينة أبرشهر - وهى مدينة نيسابور - فحاصرها أشهر، حتى طلب حاكمها الأمان، فصالحه عبد الله بن عامر على مليون درهم، وقيل سبعمائة ألف درهم، وولى على نيسابور، قيس بن الهيثم السلمي.

ثم وجه ابن عامر عبد الله بن خازم إلى قلعة حمران - من أعمال نسا - ففتحها وصالحه حاكم المدينة على ثلاثمائة ألف درهم تؤدى إلى المسلمين. وقيل صالحه على الخراج بشرط ألا يقتل أحداً من أهل

(٣٢٨) الطبرى: المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١٤٩.

المدينة ثم توجه عبد الله بن خازم إلى أبيورد، فصالحه حاكمها على أربعمئة ألف درهم. ثم سار ابن خازم إلى سرخس فقتل حاكمها وفتح المدينة عنوة^(٣٢٩) ثم وجه ابن خازم من سرخس يزيد بن سالم إلى مدينة كيف ففتحها وأتى حاكم مدينة طوس إلى عبد الله بن عامر فصالحه على ستمئة ألف درهم.

أما هراة، فإن عبد الله بن عامر وجه إليها أوس بن ثعلبة - ويقال خليلد بن عبد الله الحنفي - فبلغ حاكمها خبر سير جيش المسلمين إليهم فأرسل إلى ابن عامر، وصالحه عن هراة، و باذغيس، وبوشنج على مليون درهم. وأرسل مرزبان (مرو الشاهجان) يسأل ابن عامر الصلح، فأرسل إليه حاتم بن النعمان الباهلي، فصالحه على مليون ومائتي ألف درهم^(٣٣٠).

وهكذا؛ استطاع عبد الله بن عامر فتح إقليم خراسان؛ ليصبح جزءاً من الدولة الإسلامية، ودانت له جميع البلاد الواقعة في الضفة الجنوبية لنهر جيحون، بل وبدأت الجيوش الإسلامية تعبر نهر جيحون بالفعل حتى صالحه دهاقين الأتراك الغربيين^(٣٣١)، وأدى عبد الله بن عامر شكر هذه النعمة الكبيرة، فأحرم بعمره من نيسابور، ثم قدم على الخليفة عثمان بن عفان في المدينة المنورة.

أما مصير إقليم خراسان بعد رحيل ابن عامر عنها. فقد اختلف المؤرخون حوله: فيذكر ابن الأثير: أن عبد الله بن عامر قد استخلف

(٣٢٩) البلاذري: المصدر السابق، ص ٥٣٥ - ٥٣٦، ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩، ٢٠، ٢١، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ١٥، ١٦، ١٩، ٤٠.
(٣٣٠) البلاذري: نفس المصدر، ص ٣٥٠.
(٣٣١) د. حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص ١١٨.

على الإقليم قيس بن الهيثم السلمي^(٣٣٢)، الذى سار إلى أرض طخارستان - بعد أن أعلنوا الثورة ضد المسلمين - واستطاع قيس أن يُعيد سيطرة المسلمين على الإقليم حتى أذعنوا له بالطاعة سوى مدينة سمنجان التى امتنعت عليه، فحاصروهم حتى فتحها عنوة^(٣٣٣).

بينما يذكر اليعقوبى: أن عبد الله بن عامر قد قسم خراسان بين أربعة من قواده وهم: قيس بن الهيثم السلمي، وراشد بن عمرو الجديدي، وعمران بن الفضيل البرجمي، وعمرو بن مالك الخزاعي^(٣٣٤).

أما ابن كثير: فقد ذكر أن عبد الله بن عامر قد استخلف على خراسان عبد الله بن خازم^(٣٣٥)، ويعمل البلاذرى ذلك بأن ابن خازم قد افتعل عهداً على لسان عبد الله بن عامر^(٣٣٦). أما خليفة بن خياط، فيتفق مع البلاذرى فى تولية عبد الله بن خازم، ولكنه يعلل ذلك بشجاعة ابن خازم وتحقيقه الانتصار الكبير على الترك^(٣٣٧).

والذى يبدو لى أن عبد الله بن عامر بعد أن يمّم وجهه شطر المسجد الحرام لأداء العمرة فى سنة (٣٢٢هـ/٦٥٢م) قد ترك خراسان بين ثلاثة من قواده - وليس أربعة كما يقول اليعقوبى - وهم بالتحديد: الأحنف ابن قيس، وحاتم بن النعمان الباهلى، وقيس بن الهيثم السلمي، وذلك لدورهم الكبير فى حركة الفتح الإسلامى لهذا الإقليم الشاسع، يضاف

(٣٣٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج-٣، ص٢١. النويرى: نهاية الأرب، ج-١٩، ص٤٢٣ وهى رواية اليعقوبى فى كتابه البلدان، ص٢٩٦.
(٣٣٣) التفاصيل، البلاذرى: فتوح البلدان، ص٥١٤، الطبرى: تاريخ الأمم، ج-٢، ص٦٠٥.

(٣٣٤) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج-٢، ص١١٦.

(٣٣٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج-٧، ص١٤٦.

(٣٣٦) البلاذرى: فتوح البلدان، ص٥٤١.

(٣٣٧) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص٩٧.

لذلك، أنه كان من الصعب على قائدٍ واحدٍ أن يحكم هذا الإقليم الشاسع منفرداً.

وبغض النظر عن تولى حكم خراسان، فقد ظل الوضع هكذا حتى استشهد الخليفة عثمان بن عفان - (رضي الله عنه) - وبويع بالخلافة على ابن أبي طالب واجتاحت العالم الإسلامي فتنة كبرى، انتفضت فيها بعض البلدان الإسلامية، وكان من الطبيعي أن تتأثر خراسان بهذه الفتنة. وكانت نيسابور أول إقليم من أقاليم خراسان يعلن الثورة، وتمتنع عن دفع الخراج، وبالرغم من انشغال الإمام على - رضى الله عنه - بالمشاكل الخطيرة التي واجهته، لم يغفل أمر خراسان، ولم يتردد في إرسال الجيوش لقمع هذه الثورات، ورد أهل هذه البلاد إلى الطاعة والنظام. فأرسل إليهم في عام (٥٣٧/ ٦٥٧م) القائد جعد بن هبيرة المخزومي إلى خراسان، ولكنه لم يستطع أن يدخل نيسابور، وعاد إلى الإمام على - (رضي الله عنه) - في الكوفة^(٣٣٨).

لم ييأس الإمام على، وبعث للمرة الثانية خُليد بن قرّة اليربوعي^(٣٣٩) والذي حاصر المدينة حتى صالحوه. ويذكر اليعقوبي أن (ماهويه) مرزبان مرو حضر إلى الإمام على وكتب له كتاباً بالصلح^(٣٤٠)، وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلت خراسان مضطربة الأحوال، حتى قتل الإمام على - (رضي الله عنه) - وبدأت مرحلة جديدة بقيام الدولة الأموية.



(٣٣٨) البلاذري: المصدر السابق، ص ٥١٤، الطبري: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ١٠٩.
(٣٣٩) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٢٠، الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٢.
وعنده "خُليد بن كاس". وابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٩٠ وعنده "خالد بن قرّة".
(٣٤٠) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٩٦، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ١٢٩.

المبحث الثانى

الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر

لما آلت الخلافة الإسلامية إلى معاوية بن أبى سفيان (رضي الله عنه) وقامت الدولة الأموية (٤١هـ/ ٦٦١م) أصبح عليه أن يواجه الأوضاع المضطربة فى خراسان، فولاها قيساً بن الهيثم السلمي، ثم عزله وولى خالد بن عمرو، فلم تستقم له خراسان، فعزله. ولأن معاوية كان ثاقب الذهن. يقول صاحب الفخرى: «معاوية - (رضي الله عنه) - كان عاقلاً فى دنياه، لبيباً، عالماً، حليماً ملكاً قوياً، جيد السياسة، حسن التدبير لأمر الدنيا، عاقلاً حكيماً»^(٣٤١) فقد رأى أن خير وسيلة للمسلمين هى السير على سياسة الخلفاء الراشدين، والتي تهتم بتثبيت أقدام المسلمين فى بلاد خراسان.

لذلك فقد عهد معاوية إلى رجل حصيف مجاهد، كان صاحب الدور الأكبر فى فتح هذه البلاد وهو عبد الله بن عامر بن كريز، فولاه البصرة، وضم إليه خراسان. فأسند الأخير ولايتها إلى القائد قيس بن الهيثم السلمي، والذي استطاع النهوض بالبلاد، واستهل ولايته بالزحف إلى بلخ - وكان أهلها قد نكثوا العهد بعد وفاة الإمام على - فأخرب نوبهارها (معبدتها)^(٣٤٢)، حتى سأل أهل المدينة الصلح فصالحهم على الطاعة، وعدم نكث العهد.

(٣٤١) ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ١٠٤.

(٣٤٢) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٨، الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ١٧٣.

ثم عزله عبد الله بن عامر - وللأسف لم تمدنا المصادر عن أسباب هذا العزل - وولى عبد الله بن خازم^(٣٤٣)، والذي استطاع أن يقضى على ثورات هراة، وبوشنج، وباذغيس^(٣٤٤)، حتى أذعنوا له بالطاعة وطلبوا الأمان.

استمر عبد الله بن عامر والياً على البصرة حتى سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م) فعزله معاوية وولاهما زياد بن أبي سفيان؛ والذي استمر على سياسة التصدى لحركات التمرد والعصيان فى إقليم خراسان، ثم بدأ يتطلع إلى فتح بلاد ما وراء النهر؛ وبحكم موقع مدينة بلخ - والتي تمثل باب بلاد ما وراء النهر الجنوبي - فلا عجب أن نرى زياداً يركز على هذه المدينة، بل قل على إقليم خراسان كله - لتكون منطلقاً ينطلق منه المسلمون فى غزواتهم إلى تلك البلاد، لنشر الإسلام فى ربوعها. وليس كما يقول المستشرق المجرى فامبرى: «إن العرب كانت تستهويهم ما عرف عن بلاد الصغد من الثراء»^(٣٤٥). وليس كذلك كما يقول اللواء محمود خطاب: «فلا عجب أن يقرر المسلمون فتح بلاد ما وراء النهر للدفاع عن بلخ بخاصة وخراسان بعامه، لأن الهجوم أنجح وسيلة للدفاع»^(٣٤٦).

على كل حال، أصبح زياد بن أبي سفيان حاكماً عاماً على البصرة، فقسم خراسان بين أربعة من قواده، وهم: أمير بن أحمر اليشكرى

(٣٤٣) يذكر اليعقوبى: أن عبد الله بن عامر بعث مع عبد الله بن خازم عبد الرحمن بن سمره، تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٥١، وكتابه: البلدان، ص ٢٦٦.
(٣٤٤) البلاذرى: المصدر السابق، ص ٥٤٢، الطبرى: تاريخ الأمم، ج٣، ص ١٩٣، وابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٢٩٦.

(٣٤٥) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٥٧.
(٣٤٦) اللواء محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر، ص ٨٠.

على مرو، وخليد بن عبد الله الحنفى على أبر شهر، وقيس بن الهيثم السلمي على مرو الروذ، والطالقان والفارياب، ونافع بن خالد الطاحي على هراة وباذغيس وبوشنج^(٣٤٧)، وأعطى كل قائد حرية العمل فيما يراه لصالح المسلمين.

ظل وضع خراسان هكذا، حتى سنة (٥١هـ / ٦٧٠م) حيث جمع معاوية الكوفة والبصرة لزياد. بعد وفاة المغيرة بن شعبة فكان زياد «أول من جمع له بينهما»^(٣٤٨)، واستحق لقب سيد المشرق كله، ثم خطا زياد خطوات مهمة في سبيل توطيد الحكم الإسلامي في هذه البلاد والتي قرر «أن يجعلها قاعدة ثغرية تقوم عليها عمليات فتح بلاد ما وراء النهر»^(٣٤٩).

لذا فقد رأى زياد أن يولى خراسان أحد أصحاب النبي (ﷺ) المشهورين بالشجاعة والإقدام وهو الحكم بن عمرو الغفاري. وأقرر هنا أن تعيين الحكم قد جاء طبقاً لرأى وحكمة زياد بن أبي سفيان، وهو من هو دهاء وحكمة، وليس كما يحلو لبعض المؤرخين أن يصور تولية الحكم لخراسان قد جاء عن طريق الخطأ أو المصادفة^(٣٥٠). وإن كان اليعقوبي يذكر أن تعيين الحكم قد جاء بأمر من الخليفة نفسه^(٣٥١).

وعلى كل، أصبح الحكم بن عمرو حاكماً على خراسان، وبدأ جهاده بغزو طخارستان، فغنم منها غنائم كثيرة، ثم سار منها إلى جبال الغور

(٣٤٧) البلاذري: المصدر السابق، ص ٥٤٢، الطبري: المصدر السابق، نفس الجزء،

ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣٤٨) خليفة ابن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٢٨، ابن قتيبة: المعارف، ص ١٩٥.

(٣٤٩) د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٣٣.

(٣٥٠) الطبري: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٢٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٤٥٢.

(٣٥١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٥.

فغزا أهلها الذين ارتدوا عن الإسلام، وفتحها، وأصاب منها مغانم كثيرة، ثم استطاع الحكم أن يعبر نهر جيحون إلى بلاد ما وراء النهر، فكان أول من شرب من مائه - من المسلمين - وتوضاً وصلى ركعتين، ثم واصل جهاده فغزا الصغانيان^(٣٥٢).

والجدير بالذكر، أن الحكم كان عفيفاً، ولا يخاف في الله لومة لائم فقد رفض تسليم الأموال للخليفة، وقام بتقسيمها على جنده^(٣٥٣)، وعندما عاد من غزوته هذه، مات عام (٥٠هـ / ٦٧٠م) على أرجح الآراء. وهكذا، نرى أن القوات الإسلامية قد استطاعت أن تعبر شاطئ نهر جيحون بقوة لم يعهد لها مثيل. وسرعان ما بدأت سياسة جديدة تهدف إلى توطين العرب في هذه البلاد، وذلك وفقاً للسياسة التي وضعها الربيع بن زياد الحارثي الذي خلف الحكم بن عمرو في ولاية خراسان^(٣٥٤).

وفي سنة (٥١هـ / ٦٧٠م) جمع الربيع من أهل البصرة والكوفة زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم، وأسكنهم في بلاد ما وراء النهر^(٣٥٥). أما عن غزواته، فلم تذكر المصادر شيء عنها، سوى أن الربيع غزا بلخ، وفتح قهستان عنوة، وحارب الأتراك وانتصر عليهم^(٣٥٦).

ونستطيع القول، إن الربيع قد وطد نفوذ المسلمين في هذه المناطق ولما توفي عام (٥٣هـ / ٦٧٢م) تولى ابنه عبد الله أمر الجهاد، فاستطاع

(٣٥٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢١. ويذكر اليعقوبي أنه غزا هراة والجوزجان. نفس المصدر، نفس الجزء، ص ١٥٥.

(٣٥٣) التفاصيل: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ٦٧.

(٣٥٤) للتفاصيل انظر، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٦.

(٣٥٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤٣.

(٣٥٦) الطبري: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٢٤٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٣٣٨، وذكر اليعقوبي أن الربيع قد فتح خوارزم، وهذا أمر مستبعد في هذه المرحلة. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٥.

أن يخضع أهل آمل - غرب جيحون - ولما مات بعد ذلك بشهرين خلفه خُليد بن يربوع الحنفى.

خلاصة القول فى هذه المرحلة، أن جموع المسلمين بدأت بالفعل تتدفق على ما وراء النهر، ولا تكف عن القتال فيما وراءه، واستطاع المسلمون كذلك أن يتخذوا من خراسان قاعدة تخرج منها الجيوش الإسلامية للفتح، وأصبح المسلمون ينظرون عن كثب إلى بخارى^(٣٥٧)، بعد أن اقتحمت جيوشهم نهر جيحون، ووقفوا على أحوال الترك وما صادفوه من نجاح أثناء عملياتهم السريعة ساعدهم على ذلك.

المحاولات المبكرة لفتح بخارى:

لم يعد أمام المسلمين صعوبة لفتح بلاد ما وراء النهر، بعد أن وطدوا نفوذهم فى خراسان - كما سبقت الإشارة - فلما ولى عبيد الله بن زياد خراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان^(٣٥٨) عام (٦٧٢هـ/٣٥٣م). وجد أن جهود أبيه، ومن سبقه فى توطيد الأمن والاستقرار فى الإقليم قد آتت ثمارها. وأصبح بالفعل قاعدة مكيئة يمكن الانطلاق منها إلى ما وراء النهر^(٣٥٩).

ودون الدخول فى تفاصيل المعارك التى خاضها عبيد الله، أقول: استهل عبيد الله بن زياد عام (٦٧٣هـ/٣٥٤م) فعبر نهر جيحون إلى جبال بخارى على الإبل. وكان عدد المسلمين أربعة وعشرين ألفاً، ففتح رامثين، ونسف، وبيكند. فأرسلت خاتون - ملكة بخارى - إلى الترك

(٣٥٧) د. محمد أحمد: بخارى من صدر الإسلام، ص ٣٨.

(٣٥٨) لمزيد من التفاصيل انظر، ابن الأثير: نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٤٥، النويزى:

نهاية الأرب، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٣٥٩) د. عبد الشافى محمد: العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص ٣٣٣.

تستمدهم. فجاء عدد كبير منهم، ولقيهم المسلمون فهزموهم بعد قتال شديد، حتى اضطرت الملكة خاتون إلى طلب الصلح، وأعطاهم الأمان، ثم صالحهم عبيد الله على مليون درهم تؤدي للمسلمين كل عام^(٣٦٠). وبعد هذا الصلح عاد عبيد الله إلى العراق ليتولى حكم البصرة عام (٥٥هـ / ٦٧٣م) وترك أسلم بن زراعة^(٣٦١) حاكمًا على خراسان، فلم يغزو، ولم يفتح شيئاً، فعزله معاوية وولى سعيد بن عثمان بن عفان. وقبل أن نواصل الحديث عن فتوحات سعيد بن عثمان، لنا وقفة مع النرشخي وفامبرى.

أما الأول؛ فإنه قد بالغ كثيراً في وصفه لأحداث تلك الغزوة، فقد اتهم عبيد الله بن زياد والمسلمين بقطع الأشجار، وتخريب الديار. ومن ثم، فقد أصبحت بخارى خراباً^(٣٦٢)؛ حيث تعرضت للخطر الحقيقي. أما فامبرى، فإنه قد أخذ هذا الادعاء وزاد عليه، بقوله: «وأنزل هؤلاء الغزاة - يقصد المسلمين - الخراب بكل المناطق التي مروا بها في تقهقرهم، حتى اقتلعوا الأشجار التي صادفتهم في طريقهم»^(٣٦٣). ويعزو هذا المستشرق الصلح الذي تم بين القائد عبيد الله بن زياد والملكة خاتون إلى خوف الملكة من تدمير المسلمين لبلادها.

والحقيقة؛ أن الأخذ بصحة هذه الأقوال يعد من قبيل المبالغة، فالنرشخي قد ألف كتابه «تاريخ بخارى» وأهداه إلى الأمير نوح بن

(٣٦٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤٣، الطبري: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٢٤٢، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ٢٦٧، النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤.
 (٣٦١) يذكر اليعقوبي في كتابه البلدان، ص ٢٦٧، أن معاوية بعد عزل عبيد الله بن زياد، ولى أخاه عبد الله بن زياد، فأقام أربعة أشهر، وحين بلغه ضعفه عزله، وولى أخاه عبد الرحمن، فلم يحمد سيرته، فعزله وولى سعيد بن عثمان بن عفان.
 (٣٦٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤.
 (٣٦٣) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٥٨.

نصر الساماني (٣٣١-٤٤٣هـ/ ٩٤٣-٩٥٤م). كما نص هو في مقدمة كتابه^(٣٦٤)، وهذا البلاط لا يختلف كثيراً عن بلاط العباسيين، والذي صور الأمويين بهذه الصورة البشعة من القتل والاضطهاد. أما فامبرى، فإن كلامه يعد ضرباً من ضروب التعصب ضد المسلمين، حيث لم تذكر باقي المصادر الإسلامية؛ كالطبرى، والبلاذرى وابن الأثير، هذا القتل والتدمير.

نعود إلى سعيد بن عثمان بن عفان، والذي حكم خراسان عام (٥٦هـ/ ٦٧٥م)^(٣٦٥) فيعبر نهر جيحون ويصل إلى سمرقند. وحين بلغ هذا الخبر الملكة خاتون حملت إليه الأموال التى صالحت عليها عبيد الله بن زياد، ولكن عندما حضر إليها أهل الصغد، وكش، ونسف. وكان عددهم ما يقرب من مائة وعشرين ألفاً، ندمت على أدائها الجزية، ونكثت العهد. ولكن سرعان ما تفرقت هذه الجموع دون قتال المسلمين. فلما رأت الملكة ذلك، عادت إلى مصالحة المسلمين. ودخل سعيد بن عثمان مدينة بخارى^(٣٦٦)، ثم غزا سمرقند، وأعانتته خاتون بأهل بخارى، فقاتل أهل سمرقند ثلاثة أيام، وحلف ألا يبرح المدينة حتى يفتحها. فخاف أهل سمرقند أن تفتح المدينة عنوة، ويقتل من فيها، فطلبوا الصلح. فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم. ثم اتجه سعيد إلى ترمذ ففتحها صلحاً^(٣٦٧).

(٣٦٤) النرشخي: المصدر السابق، ص ٥.

(٣٦٥) عن تفاصيل توليته انظر، الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٢٤٩، ابن الأثير:

الكامل، ج ٣، ص ٣٥٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ٢٨٧.

(٣٦٦) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٥٤٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٧٣،

النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٦٠.

(٣٦٧) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٥-٦٦، ويذكر اليعقوبى أنه غزا طخارستان. انظر

تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ١٦٥، وكتابه: البلدان، ص ٢٩٧.

ولا أجد مبرراً للمستشرق فامبرى فى اتهام القائد سعيد بن عثمان بالتكبر، وأنه ما عقد الصلح مع الملكة خاتون، إلا لأنه قد شغف بجمالها النادر، حتى إنها أخذت بزمام قلبه على حد قوله^(٣٦٨). أقول، ألا يعد هذا ضرباً من التعصب ضد المسلمين. خاصة، وأنه لم يذكر المصدر الذى استقى منه مادته.

أما معاوية بن أبى سفيان، فإنه عزل سعيد بن عثمان سنة (٥٧هـ / ٦٧٦م) لأنه خاف أن يخلعه^(٣٦٩)، لذلك فقد عاجله بالعزل. وما كان من سعيد إلا أن استجاب لأوامر الخليفة وعاد إلى المدينة المنورة، وظل بها إلى أن لقي حتفه على أيدي مواليه عام (٦١هـ / ٦٨١). وبعد عزل سعيد استعمل «معاوية» عبد الرحمن بن زياد - وكان كريماً؛ غير أنه لم يغزُ. وبقي حاكماً على خراسان حتى توفى معاوية، وآلت الخلافة إلى ابنه يزيد بن معاوية والذى عزل عبد الرحمن بن زياد وولّى أخاه سلم بن زياد، وأوصاه بالجهاد وحُسن العمل^(٣٧٠) وكتب معه كتاباً إلى أخيه عبيد الله بن زياد - والى العراق - يوصيه فيه أن ينتخب له ستة آلاف فارس، وقيل: ألفى فارس. فكان سلم ينتخب الوجوه بنفسه، فخرج معه خلق كثير من رؤساء البصرة وأشرافهم ثم سار بهم إلى خراسان^(٣٧١).

(٣٦٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٥٨ - ٥٩.
(٣٦٩) عن أسباب العزل انظر، البلاذرى فتوح البلدان، ص ٥٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٣٦٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٨٧.
(٣٧٠) انظر نص هذه الوصية فى ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١١٠، وابن عدي: العقد الفريد، ج ١، ص ١٥ - ١٦.
(٣٧١) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٥٤٧، اليعقوبى: البلدان، ص ٢٩٨، الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٣٤٥.
ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٤٤٥.

بدأ سلم جهاده بغزو خوارزم، فأحكم الحصار على مدينتهم كاث حتى اضطرهم إلى طلب الصلح، فصالحوه على أربعمائة ألف درهم حملوها إليه. ثم عبر سلم نهر جيحون، فأتى سمرقند، فصالحه أهلها. وكانت خاتون - ملكة بخارى - قد نقضت عهدا مع المسلمين، واستنجدت بملوك الصغد والأترک، الذين وصل عددهم إلى مائة وعشرين ألفاً. على تقدير النرشخی^(٣٧٢). ولكن سلم نجح في فرض الحصار على مدينة بخارى، وفي نفس الوقت أرسل القائد العظيم المهلب بن أبي صفرة الأزدی، في حملة استطلاعية لمعرفة قوة العدو. وبالفعل، استطاع المهلب بعد حروب طويلة^(٣٧٣) أن يحقق الانتصار على الأعداء.

وعندما رأت الملكة خاتون قوة المسلمين وشدة بأسهم، طلبت الصلح من جديد، فوافق سلم، وبهذا الصلح استعاد فتح بخارى. ثم بعث - وهو بالصغد - جيشاً لفتح خجنده^(٣٧٤). ونجح الجيش في ذلك، وعندما آمن سلم على المسلمين، عاد إلى مرو قاعدة خراسان.

ولي هنا عدة ملاحظات:

أولاً: نلاحظ في هذه الغزوة اشتراك المرأة المسلمة فقد ذكرت المصادر الإسلامية، أن سلم قد حمل امرأته: أم محمد بنت عبد الله بن عثمان ابن أبي العاص الثقفي معه. فكانت أول امرأة عربية تعبر إلى بلاد ما وراء النهر. وهذا، له دلالة كبيرة عند المسلمين، فهو يعنى إصرارهم على فتح هذه البلاد. وجدير بالذكر، أن سلم أنجب في هذه الغزوة

(٣٧٢) النرشخی: تاريخ بخارى، ص ٧٠.

(٣٧٣) النرشخی: نفس المصدر، ص ٧١.

(٣٧٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤٧، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٦،

ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٤٤٥.

غلامًا فسماه الصُّغدى، وأن أهل خراسان قد سَمُّوا أكثر من عشرين ألف مولود بسلم^(٣٧٥)، لحبهم للقائد سلم بن زياد.

ثانيًا: إن المسلمين قد تقدموا خطوة كبيرة للأمام فى غزو هذه البلاد. فقد ذكرت المصادر الإسلامية^(٣٧٦)، والأجنبية^(٣٧٧) على السواء، أن المسلمين استطاعوا مقاومة طبيعة الإقليم القارسة البرودة - الذى لم يألفه العرب من قبل - كما استطاعوا التغلب على الممرات الجبلية فى أرض العدو. يقول أحد الباحثين المحدثين: «إن بيئة آسيا الموسمية كانت حليفًا طبيعيًا لأبنائها: أدغال، وأحراش، وغابات كثيفة، ثم أنهار، ومستنقعات، وجبال، تمثل - لاسيما فى الفصل المطير - مجالًا مثاليًا لحرب العصابات». لذلك فإنه ينسب إلى القائد سلم بن زياد أنه أول من قضى الشتاء فى هذا الجو القارس ببلاد ما وراء النهر، وهذا يؤكد المعنى الذى سبقت الإشارة إليه، وهو؛ أن المجاهدين المسلمين بدأوا بالفعل يقهرون هذه الطبيعة القاسية، بل ويألفون هذه الأجواء الباردة^(٣٧٨).

ثالثًا: أنبه على ضعف - بل وضع - رواية النرشخى؛ و التى ذكر فيها أن القائد سلم كان مهتمًا بالطعام والشراب فى جميع أوقاته، حتى أثناء ما أبلغه الجنود استغاثة «المهلب بن أبى صفرة» فى حربه ضد الترك، لم يحرك ساكنًا، بل ظل يأكل طول الوقت، حتى خاطبه أحد جنده بقوله: لقد هلكت دون أن تدري، ولم تكن رجل حرب^(٣٧٩)

(٣٧٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج٦، ص٢٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٢٥.

(٣٧٦) ابن الجوزى: نفس المصدر، ج٧، ص٣٤.

(٣٧٧) بارتولد: تركستان، ص٣٠١، فامبرى: تاريخ بخارى، ص٦٠.

(٣٧٨) د. حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص١١٩.

(٣٧٩) النرشخى: تاريخ بخارى، ص٧١.

وبالطبع فالمستشرق فامبرى - كما هي عادته - قد ساق هذه القصة وزاد عليها، اتهمه القائد سلم، بأنه ما أخرج المهلب لمحاربة الترك، إلا «خوفاً على الغنائم»^(٣٨٠).

والحقيقة، أن رواية النرشخى، رواية منفردة، بل باطلة، لأنه لم يذكر السند الذى استقى منه مادته، الأمر الذى يعكس لنا ذلك الاضطراب الذى صيغت به هذه الرواية^(٣٨١)، بالإضافة إلى عدم ذكر المصادر الإسلامية الأخرى - كالبلاذرى والطبرى وابن الأثير - شيئاً عن هذه الأحداث.

أما فامبرى، فهو كعادته يترك الروايات الصحيحة، ويأخذ هذه الروايات الباطلة. وينسج عليها من خيوط أوهامه، ثم كيف يقال على القائد سلم ذلك، وقد أجمعت المصادر على أنه أول من قهر الطبيعة فى هذه البلاد، وبدأ المجاهدون تحت قيادته يألفون هذه الأجواء.

على كل حال، استطاع القائد سلم بن زياد أن يحرز نصراً على كل هذه القوى [الصغد، والأتراك، وملكة بخارى]. ويبدو أن هذه الإغارات قد تركت أثراً فى الحوليات المعاصرة. حتى إن المؤرخ شافان Chovanne قد عثر ضمن مجموعة الوثائق الصينية المعروف باسم [تشى - فو - يوين - كوى] على رسالة بعث بها حاكم سمرقند إلى إمبراطور الصين - ينوه فيها بهذا التحول الجديد فى الغزو، ويذكر أن بداية الصراع مع المسلمين كان منذ خمسة وثلاثين عاماً، مشيراً - فيها - إلى جهود القائد سلم بن زياد، ولم يهتم للغارات التى حدثت قبل ذلك^(٣٨٢). وأظن أن هذا أكبر رد على النرشخى وفامبرى!

(٣٨٠) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٦٠

(٣٨١) د. أحمد محمد: بخارى فى صدر الإسلام، ص ٤٦.

(٣٨٢) بارتولد: تركستان، ص ٣٠١.

أما حال الخلافة الإسلامية في دمشق، فإن الخليفة يزيد بن معاوية توفي عام (٦٤هـ/ ٦٨٣م) وبويع بالخلافة معاوية بن يزيد الذي لم يستمر في الحكم سوى ثلاثة أشهر^(٣٨٣) - وقيل غير ذلك - وعندما بلغ أهل خراسان هذه الأحداث، أعلنوا العصيان، وخلعوا طاعة سلم، مما اضطره إلى تولية عبد الله بن خازم حكم خراسان، وكتب له عهداً بذلك؛ وأعانه بمائة ألف درهم. وظل عبد الله والياً على خراسان من قبل عبد الله بن الزبير، حتى قتل سنة (٧٣هـ/ ٦٩٣م).

أقام عبد الله بن خازم بخراسان، فعمل بها العجائب - كما يقول اليعقوبي^(٣٨٤) - وفي ولايته خرج عليه أهل هراة، والطارقان. ووجد الترك في ذلك فرصة عظيمة فأغاروا على خراسان^(٣٨٥). ولكن سرعان ما تخلص ابن خازم من معارضيه. فبعث ابنه موسى في مائتين وعشرين رجلاً، وعبرا نهر جيحون، واستقر في بخارى. وبعد ثورة عارمة قامت ضده توجه منها إلى سمرقند، وسار منه إلى كش، ثم استقر به المقام في مدينة ترمذ. بعد أن دارت بينه وبين أهل المدينة معارك طاحنه، سرعان ما انضم إلى موسى جند أبيه، وكثر جمعه بالمدينة، فصار والياً عليها^(٣٨٦)، حتى استطاع المفضل بن المهلب بن أبي صفرة القضاء عليه عام (٨٥هـ/ ٧٠٤م).

(٣٨٣) لمزيد من التفاصيل انظر، المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ٧٣، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص ٢٣٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٣١٦.
(٣٨٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٧٦.
(٣٨٥) التفاصيل: الطبري: تاريخ الأمم، ج٣، ص ٣٨٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص ٦١.

(٣٨٦) لمزيد من التفاصيل انظر، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥١-٥٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، النويري، المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٢٦٥-٢٧٥.

عبد الملك بن مروان واستئناف حركة الفتوحات الإسلامية:

وهكذا رأينا أن حركة الفتوحات الإسلامية توقفت في هذه المنطقة بسبب المنازعات التي دارت حول الخلافة الإسلامية في بلاد الشام. وأخيراً، نجح عبد الملك بن مروان في القضاء على ثورة عبد الله ابن الزبير عام (٧٣هـ / ٦٩٣م). وعندما استقامت له أمور الخلافة، أرسل إلى عبد الله بن خازم في خراسان يدعوه لمبايعته. فرفض وعامل رسول عبد الملك معاملة سيئة^(٣٨٧). فأرسل عبد الملك إلى بكير بن وشاح - عامل الشرطة لعبد الله بن خازم - يطلب منه قتله على أن يوليه خراسان. وبالفعل، وثب بكير بن وشاح - وجماعة معه - على عبد الله ابن خازم فقتلوه^(٣٨٨)، وبعثوا برأسه إلى عبد الملك، والذي أوفى بوعده إلى بكير، وعينه والياً على خراسان.

ولكن سرعان ما عزل عبد الملك بكيرا - بسبب قسوته وكرهية الجنود له - وولى أمية بن عبد الله بن خالد الأموي وذلك سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م). والذي ظل ثلاث سنوات كاملة يحاول إصلاح ما فسد من خراسان بعد مقتل ابن خازم. ولما استتب له الأمر سنة (٥٧٧/ ٦٩٦م). عزم على غزو بخارى، فجهز جيشه وسار حتى بلغ نهر جيحون، وهناك أستأذنه بكير بن وشاح في العودة إلى مرو^(٣٨٩)، وعندما وصلها أعلن الثورة ضد بنى أمية مما أضطره إلى مصالحة أهل بخارى، على فدية قليلة يؤدونها

(٣٨٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٨٧ ويذكر أنه قتله.

(٣٨٨) التفاصيل: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ١٧٤-١٧٥. الطبري: تاريخ

الأمم، ج٣، ص ٥٣١.

(٣٨٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤٩. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١١٩-١٣٣،

وابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٩٦.

للمسلمين - وعاد إلى مرو^(٣٩٠) للقضاء على ثورة بكير، وبعد جولة من الحروب ليست بالطويلة، نجح أمية في قتل بكير بن وشاح والقضاء على الثورة وعندما اطمأن أمية على استقرار الأمن في خراسان، وفي أوائل عام (٦٧٨هـ/٦٩٧م) غزا أمية الختل^(٣٩١) - لنقضهم الصلح الذي أبرموه مع سعيد بن عثمان بن عفان - وفتحها بدون مقاومة تذكر.

لم يستمر أمية والياً على خراسان طويلاً - بعد غزو الختل - إحدى مدن طخارستان - فقد عزله عبد الملك بن مروان^(٣٩٢)، وضم خراسان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق. وبضم هذا الإقليم إلى الحجاج استؤنف الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر. وقد اختار الحجاج لهذا الإقليم رجلاً من خيرة رجال عصره، عرف بالشجاعة والإقدام، وهو المهلب ابن أبي صفرة الأزدي، والذي فرغ من حروب الخوارج الأزارقة^(٣٩٣). وبدأ مرحلة جديد من حياته بتوليته إقليم خراسان.

قدم المهلب خراسان سنة (٧٩هـ/٦٩٨م). وعبر نهر جيحون في عام (٨٠هـ/٧٠٠م) على رأس جيش تعداده ثمانية آلاف مقاتل. فحاصر مدينة كش. وأتاه ابن عم ملك الختل ودعاه إلى غزو المدينة، فوجه معه ابنه يزيد، والذي نجح في حصار قلعة الختل، ما اضطرهم

(٣٩٠) يعلل ابن الجوزي عودة أمية إلى مرو بسبب المجاعة التي حدثت في جيشه حتى أشرفوا على الهلاك. ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص١٩٥.

(٣٩١) البلاذري: المصدر السابق، ص٥٥٠، الطبري: تاريخ الأمم، ج٣، ص٦٠٧، ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٥-١٨٦، ابن كثير: المصدر السابق، ج٩، ص٢١.

(٣٩٢) يعلل ابن قتيبة عزل أمية إلى ما اتصف به من الجبن وعدم الشجاعة، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٦٦، ١٧١، ١٩٧.

(٣٩٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: الطبري: المصدر السابق، نفس الجزء، ص٦١٢، ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٢٠٤، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص١٦١ وما بعدها.

إلى المصالحة على فدية حملها معه إلى أبيه المهلب^(٣٩٤). وفي نفس العام وجه المهلب ابنه الثاني حبيباً إلى بخارى، فخرجت عليه جماعة من أهل قرية مجاورة لها، فقاتلهم حبيباً، وأحرق قريتهم، لذا فقد عرفت هذه القرية بـ«المحترقة»^(٣٩٥). ثم عاد إلى مرو حيث مقر حكم أبيه.

أقام المهلب بمدينة كش ما يقرب من سنتين، وقيل له: «لوتقدمت إلى ما وراء ذلك. فقال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين»^(٣٩٦). وهذا القول من قائد شجاع مثل المهلب يدلنا على شراسة وقوة المقاومة في هذه البلاد. وعلى كل، عاد المهلب إلى مرو - بعد هذه الغزوة - ولم يلبث إلا قليلاً وتوفي عام (٨٢هـ / ٧٠١م) وخلفه على حكم خراسان ابنه يزيد. ولاية آل المهلب حكم خراسان:

أقر الحجاج بن يوسف تولية يزيد بن المهلب على خراسان، ونجح يزيد في فتح جبال البُثم، وغزو خوارزم^(٣٩٧) الذي أصاب منها سيئاً كثيراً. ولا يوجد نص يشير إلى سنة غزو هاتين المدينتين. ويظهر لى أن يزيد قد حكم خراسان في الفترة من [٨٢ - ٨٥هـ / ٧٠١ - ٧٠٤م] فلا بد إذاً أن يكون هذين الإقليمين كان خلال هذه المدة.

لم يلبث يزيد في حكم خراسان سوى فترة بسيطة، ثم عزله الحجاج خوفاً من أطماعه في السلطة. وليس كما يحلو لبعض المؤرخين أن يردد

(٣٩٤) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٩٩، الطبري: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٦١٦.
(٣٩٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٠ ويذكر أنه غزا خجنده، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ١٩٢ - ٢٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٢.
(٣٩٦) الطبري: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٦٣٣، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٢٣٤.
(٣٩٧) البلاذري: المصدر السابق، ص ٥٥٦. ابن كثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٥٦.

أن الكهنة قد أخبروا الحجاج إن يزيد سوف يخلعه فى المستقبل^(٣٩٨)، لأنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله - سبحانه وتعالى -.

كان الحجاج على علم بما يدور فى رأس يزيد بن المهلب، ويعلم أنه لن يُسَلَّم حكم خراسان إلا لقائد عظيم مثله، فوقع اختيار الحجاج على المُفَضَّل بن المهلب الأزدى. والذى أصبح والياً على خراسان عام (٨٥هـ/ ٧٠٤م). بدأ المفضل جهاده بغزو مدينتى آخرون وشومان - من إقليم بخارى - فظفر وغنم^(٣٩٩)، وقسم ما أصابه من غنائم بين جنده. وللأسف لم تمدنا المصادر الإسلامية بشيء يذكر حول هذه الغزوة، ولكن يبدو أن المفضل قد نجح فى استعادة فتح هذه المنطقة من بلاد ما وراء النهر، فى مدة زمنية قصيرة جداً. إذ لم يبق فى ولاية خراسان سوى تسعة أشهر فقط، مما يدل على قيادته الحكيمة.

وعلى كل حال، فقد عزل الحجاج المفضل لأسباب نجهلها، ولعلها ترجع إلى خوف الحجاج من أسرة آل المهلب. وخلف المفضل فى حكم خراسان قائد عظيم، له شهرة واسعة. وكتب الله تعالى على يديه إتمام فتح هذه البلاد. وهو القائد قتيبة بن مسلم الباهلى، والذى نفرد له المبحث القادم. وفى ختام هذه المرحلة من حركة الفتوحات الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر، نقرر أن المسلمين قد نجحوا بالفعل فى جعل خراسان ثغراً إسلامياً، يحاربون فيه الترك. ويشيعون بين صفوفهم الفرقة، وفى نفس الوقت كان المسلمون قد ألقوا طبيعة هذه البلاد

(٣٩٨) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص١٩٣، الدينورى: الأخبار الطوال، ص٤٧٧.

(٣٩٩) البلاذرى: المصدر السابق، ص٥٥١، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٢٧-٢٢٨،

ابن الجوزى: المنتظم، ج٦، ص١٦٤.

المناحية، والجبليّة^(٤٠٠). حقيقة إن المسلمين لم يحققوا كسباً أرضياً حقيقياً في بلاد ما وراء النهر، ولكن تفاهماً تم - بعد هذا النضال الطويل - بينهم وبين أرض هذه البلاد تظهر نتيجته في ولاية قتيبة ابن مسلم كما سيأتى.



(٤٠٠) بارتولد: تركستان، ص ٣٠٢، د. حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص ١١٥.

المبحث الثالث

قتيبة بن مسلم وإتمام الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر

لقد اشتهر فى فتح المشرق كثير من القادة؛ كانوا شهباً أضاءت سماء المشرق. وانفتحت أمام عزيمتهم أبواب الدنيا، وسقطت دولة بنى ساسان، تحت سنابك خيولهم. وعندما جاء الأمير أبو حفص - قتيبة ابن مسلم بن عمرو الباهلى أذل أنوف الأعداء، وأظهر علو همته فى الجهاد فى سبيل الله - تعالى - وفتح الله على يديه أقاليم واسعة تزيد على ما فتحه أسلافه كلهم. فقد اشتهر الأمير أبو حفص، بأنه أحد الأبطال الشجعان، ومن ذوى الحزم والدهاء، والرأى.

ونسوق هنا شهادة أحد المؤرخين الغربيين، الذى طالما اتهم المسلمين بالعدوان والخيانة، والطمع فى خيرات بلاد ما وراء النهر، وهو المستشرق المجرى فامبرى، ما استطاع إلا أن يبدى إعجابه بالقائد قتيبة. فيقول: «قائد أدى حذره، وشجاعته، وقوة جلده إلى إطفاء آخر بصيص لحضارة إيران القديمة.... ويغرس من بعد ذلك تعاليم النبى (صلى الله عليه وسلم) فى وديان تيان شان المترامية الأطراف»^(١).

وقبل أن نمضى مع فتوحات قتيبة بن مسلم نلخص أهم العوامل التى ساعدته على ذلك:

(١) من حُسْن حظ قتيبة أن توليته قد جاءت من قبل أمير العراق الحازم المتيقظ الحجاج بن يوسف الثقفى، والذى كان يطلع على

(٤٠١) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٦١.

تحركات قتيبية خطوة خطوة - كما سيأتى ذلك بالتفصيل - ويمده بكل ما يحتاج إليه من المؤن والرجال.

(٢) إن تولية قتيبة قد جاءت أيضاً فى بداية عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك الذى اشتهر بكثرة الفتوحات، حتى قال عنه المؤرخون : «أقام الجهاد فى أيامه، وفتحت فى خلافته فتوحات عظيمة كأيام عمر ابن الخطاب»^(٤٠٢). ولا يخفى على أحد أن عون ومساندة الخلافة من أهم وأعظم العوامل التى تشجع القادة فى ميدان القتال.

(٣) إن تولية قتيبة قد جاءت وقد تخلصت الدولة الأموية - ولو إلى حين - من ألد أعدائها الخوارج، كما تخلصت من عبد الله بن الزبير، واستعادت عافيتها وقوتها^(٤٠٣). وحقت انتصارات هائلة على أعدائها فى ميدان الحروب.

(٤) إن الاستعدادات العسكرية فى قاعدة خراسان كانت قد اكتملت، وأصبحت تضمن النجاح للقادة المجاهدين فيها؛ وهذا أمر يغرى بمواصلة الفتح والجهاد، والقيام بعمليات عسكرية ذات طابع أعمق وأوسع.

(٥) إن القوات الإسلامية استطاعت أن توقع الفرقة بين الإمارات التركية فى هذه المنطقة، فدب النزاع بين إماراتى فرغانة وخوارزم^(٤٠٤) والصغانيان وشومان. هذا النزاع ساعد المسلمين على فتح كل إمارة على حدة، حيث لم تجتمع للمسلمين جبهة تركية موحدة، على حين تجمع المسلمون تحت ظل راية إسلامية موحدة.

هكذا، تجمعت وتضافرت كل هذه العوامل مع علو همة القائد قتيبة فى الجهاد، مما كان من أكبر الأسباب على نجاحه فى فتح هذه البلاد.

(٤٠٢) ابن طباطبا: الفخرى، ص ١٢٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٤٢.

(٤٠٣) د. عبد الشافى محمد: العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص ٣٤١.

(٤٠٤) بارتولد: تركستان، ص ٣٠٣، د. حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص ١٢٣.

ونعود إلى قتيبة، فنجده قد وصل إلى مرو - قاعدة خراسان - والياً سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م)، من قبل والي الحجاج بن يوسف، وبمجرد وصوله نجح في جمع كلمة المسلمين، ونجح في القضاء على الفرقة التي نشبت بين القبائل العربية، وخطب الناس^(٤٠٥)، وحثهم على الجهاد في سبيل الله، وذكرهم بمسئوليتهم تجاه دين الله - تعالى - وأهاب بهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشقة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية. ومن الصعب هنا تتبع خطوات قتيبة بن مسلم بالتفصيل في فتح بلاد ما وراء النهر، فهذا يستحق بحثاً مفرداً، لكنني سأركز على فتح المدن الكبرى. وعلى هذا؛ فيمكنني أن أقسم فتوحات قتيبة إلى أربعة مراحل^(٤٠٦)، كل مرحلة منها تختص بفتح إقليم من أقاليم ما وراء النهر. **المرحلة الأولى: فتح طخارستان والطارقان والصغانيان (٨٦-٨٧هـ/ ٧٠٥-٧٠٦م):**

اتخذ قتيبة من مرو قاعدة ينطلق منها إلى فتح بلاد ما وراء النهر، واستخلف على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو، وعلى خراجها عثمان بن السعدي، وعرف قتيبة جنده حقيقة الموقف، وحثهم على بذل النفس للجهاد في سبيل الله تعالى، وسار غازياً إلى إقليم طخارستان السفلى. هذا الإقليم الذي لم يستقر فيه حكم المسلمين، بسبب كثرة الثورات^(٤٠٧). ونظراً لأهميته فقد رأى قتيبة أن يحكم سيطرته عليه، وعلى الطريق الممتد ما بين طخارستان وبلخ.

(٤٠٥) نص الخطبة في الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص ١٣٤.
(٤٠٦) اتبعت هنا تقسيم أستاذي الدكتور/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف في كتابه العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٣، وإن كان بعض الأساتذة يحلو لهم تقسيمها إلى ثلاثة مراحل. انظر د. سيدة كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص ١٢٠، د. حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١، ص ١٢٠.
(٤٠٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٣-٥٥٤، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٤١.

ثم واصل سيره حتى وصل إلى مدينة الطالقان، وهناك أتاه أهل بلخ وعظماؤها مرحبين به. وساروا في ركابه، مما شجعه على المضي قدماً إلى بلخ. والتي كانت لا مفر من السيطرة عليها سيطرة تامة لتوطئة الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر^(٤٠٨). فظل بها فترة حتى أخضع أهلها. ولم يجد قتيبة أمامه صعوبات تذكر فعبر نهر جيحون. فتلقيه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه إلى بلاده وسلمها إليه. ثم سار قتيبة إلى مدينة آخرون [آغزون] وشومان، فصالحه ملكها على فدية قبلها منه قتيبة. ثم انصرف عائداً إلى مرو^(٤٠٩)، وقد استخلف على الجنود أخيه صالح بن مسلم؛ والذي واصل الجهاد ونجح في فتح كاشان وأورشنت - وأخسيكت - وفرغانة القديمة.

وهكذا؛ استطاع قتيبة أن يفرض سيطرته على إقليم طخارستان ولم يبق أمامه سوى نيزك - صاحب قلعة باذغيس - الذي نقض صلحه مع قتيبة وكون حلفاً مع ملوك طخارستان، وسوف يأتي الحديث عنه.

المرحلة الثانية: فتح بخارى (٨٧-٩٠هـ / ٧٠٦-٧١٠م):

لم يأت فتح إقليم بخارى دفعة واحدة؛ بل فتحت كل مدينة منه على حدة، نلخصها فيما يلي:

(أ) فتح بيكند:

احتلت مدينة بيكند أهمية عسكرية (استراتيجية) مهمة بين سائر مدن بلاد ما وراء النهر. فهي تمثل أقرب مدن بخارى للمسلمين في خراسان، فضلاً عن كونها الباب الجنوبي الغربي لبلاد ما وراء النهر،

(٤٠٨) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٤٧٦، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٦١.

(٤٠٩) الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٦٧٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٦١.

لذا فقد حرص الترك على تحصين المدينة، فأحاطوها بسور منيع، وأقاموا فيها الاستحكامات العسكرية^(٤١٠).

لذا فقد أعد قتيبة لفتح بيكند عدته، قبل أن ينهض بالمسير إليها، فعمل على الإكثار من عدد جنده، فنجده يُرسل إلى نيزك - أمير باذغيس - مطالبا إياه بإطلاق أسرى المسلمين، وبالفعل استجاب نيزك لطلب قتيبة. وفي نفس الوقت كان قتيبة قد صالح ملك شومان وآغزون بطخارستان، فأمن بهذا جبهته الجنوبية، وزاد عدد جيشه، هذا أولاً. ثانياً: عمل قتيبة على الإكثار من عدد جيشه، فطلب من نيزك استخدام الترك معه. ونص كلام البلاذري واليعقوبي: «وكان نيزك - صاحب الترك - قد صار إلى قتيبة فلم يزل معه يحضر حروبه»^(٤١١).

ثالثاً: حث قتيبة جنوده على مواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى لنشر كلمة الإسلام. فجمع جنداً كثيفاً من العرب والموالى. ومن حُسْنِ الحظ أن الطبرى قد أورد لنا عددهم، وهم كالتالى: من قبيلة بكر سبعة آلاف، ومن تميم عشرة آلاف، ومن بنى عبد القيس أربعة آلاف. ومن الأزد عشرة آلاف. ومن الكوفة سبعة آلاف. ومن أهل البصرة تسعة آلاف، ومن الموالى سبعة آلاف^(٤١٢). فجموع هؤلاء أربعة وخمسين ألفاً. قسمهم قتيبة إلى خمس كتائب. وتولى هو القيادة العامة للجيش.

رابعاً: ذكاء قتيبة العسكرى، حيث لم يبدأ بمهاجمة بخارى مباشرة، بل حاول عزل المدينة عن باقى حلفائها من الصغد والترك،

(٤١٠) فامبرى: المرجع السابق، ص ٦١.

(٤١١) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٥٥٤، اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٤١٢) الطبرى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٦٧٧.

فتعجز عن الدفاع عن نفسها. ورأى أن يبدأ ببيكند^(٤١٣) فكانت فكرة عسكرية راجحة.

هكذا، جهز قتيبة جيشه. ثم سار من مرو - مقر حكمه في خراسان - حتى وصل إلى مدينة آمل، ومنها إلى زم، ثم عبر نهر جيحون إلى بيكند. وهناك، استنصر أهل بيكند بالترك، فأتوهم في جمع كبير، وأخذوا الطريق على المسلمين. فلم ينفذ لقتيبة رسول، ولا خبر لمدة شهرين حتى إن الحجاج قد أشفق على المسلمين المجاهدين، وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد^(٤١٤)، وكتب بذلك إلى باقي الأمصار.

أما قتيبة فإنه أمر أصحابه بالجدّ في القتال، فانهزم العدو، وقتل أكثرهم. وفر الباقون إلى داخل الحصن. فوضع قتيبة الفعلة - سلاح المهندسين - لهدم سور المدينة. فسألوه الصلح، فأجابهم وفتحت المدينة أبوابها. واستعمل قتيبة عليها ورقاء بن نصر الباهلي^(٤١٥)، ثم عاد قتيبة إلى مرو.

ما أن سار قتيبة خمسة فراسخ عن المدينة حتى نقضوا الصلح، وقتلوا عامله ومن معه، فعاد قتيبة إليهم وقد تحصنوا داخل المدينة. ففرض عليهم الحصار، وقتلهم شهراً، حتى استطاع أن يدخل المدينة عنوة، وأن يقتل من كان فيها من المقاتلة، وغنم المسلمون مغانم عظيمة. وعندما حل الشتاء عاد قتيبة إلى مرو.

وقبل أن تغادر هذه الجزئية، أناقش رواية النرشخي وفامبري حول فتح بيكند. أما النرشخي، فقد ذكر أن قتيبة قد أخرب المدينة كلها،

(٤١٣) د. محمد أحمد: بخارى في صدر الإسلام، ص ٥٥.

(٤١٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٣٤٤، ابن

كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٧١.

(٤١٥) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٩٠، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٢٧٩.

وأنها صارت خاوية بحيث لم يبق بها أحد. يقول: «ثم بقيت بيكنند خراباً سنوات طويلاً». غير أنه يناقض نفسه، حيث يقول في موضع آخر: «لم تكن المدينة تخربت كلها. وبقيت خاوية، ثم عمرت سريعاً على يد أهلها أنفسهم»^(٤١٦) وهذا - كما يبدو - تناقض واضح، يحكم ببطلان هذه الرواية. ومما يدعم هذا البطلان أن باقى المصادر الإسلامية لم تذكر شيئاً عن هذا الخراب.

أما فامبرى - فيعتمد على رواية النرشخى، ويزيد عليها افتراءً من عنده حيث يقول: «إن قتيبة أمر بإحراق بيكنند، وقتل كل من بها من البالغين وسبى النساء والأطفال». ويقول في موضع آخر: «ولنا أن نتصور مبلغ ما كان عليه بدو الصحراء البسطاء (يعنى المسلمين) لهفة للاستحواذ على كنوز المغلوبين المكذبة»^(٤١٧). وهكذا، يحلو لهذا المستشرق أن يصور هؤلاء المجاهدين بهذه الصورة البشعة، صورة السفاحين القاتلين للأطفال والنساء، الباحثين عن الأموال بأية صورة.

والحقيقة؛ إن هذه الروايات مغلوطة، بل باطلة، وهى افتراء ظاهر، وتناقض الروايات التاريخية الصحيحة. فابن الأثير يذكر: «أن قتيبة كان قد وافق أهل بيكنند لما طلبوا الصلح. ولما نقضوا هذا الصلح، قاتلهم ودخل المدينة عنوة، وقتل من كان بها من المقاتلة»^(٤١٨). وأظن أن هذا أمر مشروع فى القتال، خاصة عند نقض العهد. ولم يرد عنده، ولا باقى المصادر الأخرى^(٤١٩) ذكر لقتل الأطفال والنساء.

(٤١٦) النرشخى: تاريخ بخارى، ص ٧٥-٧١.

(٤١٧) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٦٢-٦٣.

(٤١٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٣٤٤.

(٤١٩) خليفة ابن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٩٠. ابن الجوزى: المنتظم، ج ٦، ص ٢٧٩.

ونص كلامه: «وظفر بهم عنوة فقتل مقاتلهم».

وأما ما يدحض رأى فامبرى فى رغبة المسلمين فى الحصول على الغنائم فقد أوردت المصادر التاريخية، أن رجلاً أعور كان قد استجاش به الترك على جند المسلمين، ثم وقع هذا الرجل فى الأسر، فعرض على قتيبة أن يسلمه فدية قدرها خمسة آلاف حريرة صينية، قيمتها مليون درهم. وهذا - بلا شك - مال يغرى!!، ولكن قتيبة رفض ذلك. قائلاً: «لا والله لا أروى بك مسلماً مرة ثانية» وأمر به فضربت عنقه^(٤٢٠). يقول ابن كثير: «وهذا من الزهد فى الدنيا»^(٤٢١). بل إن النرشخى - نفسه - قد ذكر أن قتيبة قد حصل من إحدى معابد الأصنام على حبتين من اللؤلؤ كل منهما كبيضة الحمام. بعث بهما إلى الحجاج بن يوسف، مع مائة وخمسين ألف مثقال. وعلى الرغم من إعجاب الحجاج بهذه الهدايا النفيسة، إلا أنه ردها إلى قتيبة قائلاً: «وأعجب من هذا سخاؤك، إذ حصلت على مثل هذين الشيئين الفاحرين، وبعثت بهما إلينا. بارك الله عليك»^(٤٢٢) أقول؛ أمثل هذا النفوس تطمع فى شىء من الدنيا، أظن على المستشرقين - من أمثال فامبرى - أن يراجعوا أنفسهم فى دراسة التاريخ الإسلامى.

وفى الختام نلخص أهم النتائج المترتبة على فتح بيكند، وهى كالتالى:

(١) نجح المسلمون فى السيطرة على الجنوب الغربى لبلاد ما وراء النهر، بما ييسر لهم مواصلة الفتوحات فى هذه البلاد.

(٢) قوى المسلمون بالغنائم التى حصلوا عليها من فتح بيكند، وكتب قتيبة إلى الحجاج بن يوسف يستأذنه فى فتح خزائن السلاح وألة

(٤٢٠) ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٣٤٤.

(٤٢١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٧٣.

(٤٢٢) النرشخى: تاريخ بخارى، ص ٧٥.

الحرب لدفعها إلى الجنوب، وتقسيمها بينهم، استعداداً لفتح بخارى. يقول ابن كثير: «وصار لكل واحد منهم (المسلمين) مال مستكثر جداً، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيول كثيرة، ففوق بذلك قوة عظيمة»^(٤٢٣)، وأصبح على قتيبة مواصلة الفتح.

(ب) فتح نومشكت وراميثن (من قرى بخارى):

استقر قتيبة بن مسلم في مرو أيام الشتاء للراحة، وإعداد رجاله للقتال فلما أهل فصل الربيع، ندب الناس للجهد. وهنا يوجد اختلاف بين رواية النرشخي والطبري في شأن مسير قتيبة. فيذكر النرشخي: أن قتيبة واصل السير من بيكند إلى مدينة خنبون وتاراب^(٤٢٤). وعلى هذا يكون قتيبة قد اتجه مباشرة إلى بخارى بعد أن فرغ من فتح بيكند. وذلك دون أن يعود إلى خراسان. على حين يذكر الطبري، أن قتيبة قد واصل السير إلى بخارى عن طريق آمل، وزم. ومنها إلى بخارى ونواحيها^(٤٢٥) ويبدو لي أن رأى الطبري هو الصواب، وذلك لأن جيوش قتيبة كانت في حاجة إلى الراحة، خاصة بعد الحصار الطويل في فتح بيكند.

وثانياً: لأن فصل الشتاء قد حل على المسلمين؛ وهو فصل يصعب فيه مواصلة القتال نظراً لانخفاض درجة الحرارة التي قد تصل في هذه المناطق لدرجة التجمد. ثالثاً: لأن باقى المصادر - كالبلاذري وابن الأثير - قد ذكرت أن قتيبة قد توجه إلى مرو، واستخلف على بيكند أخاه بشار.

ومهما يكن من أمر، فإن قتيبة قد فتح مدينة خنبون، وتاراب، واستولى عليها. ثم أتى نومشكت وصالح أهلها. ويفهم من كلام البلاذري

(٤٢٣) ابن كثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٧٤.

(٤٢٤) النرشخي: المصدر السابق، ص ٧٥.

(٤٢٥) الطبري: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٦٧٣ - ٦٧٤.

أن قتيبة قد غزا نومشكت وكرمينية - في آن واحد - وذلك قبل أن يفتح بخارى^(٤٢٦). وهذه الرواية لا تتفق مع الطبيعية الجغرافية لهذه البلاد. حيث إن كرمينية تقع شرق مدينة بخارى، على الطريق المؤدى إلى سمرقند، والاتجاه إلى بخارى صوب الصغد لم يتأت إلا بعد إتمام فتح بخارى ونواحيها^(٤٢٧).

وبغض النظر عن رواية البلاذري، فإن قتيبة قد سار إلى راميثن، وصالح أهلها. ويبدو أن قتيبة قد سارع بعقد هذا الصلح عندما وصلته أنباء اجتماع الأتراك ضده. فقد ذكر ابن الأثير: أن ملوك الصغد وفرغانة والترك اجتمعوا في مائتي ألف مقاتل بقيادة ملك الترك (كور بغانون)^(٤٢٨)، واستأجروا - ابن أخت ملك الصين - بجيشه ليحارب هو في مقدمة الجيوش ضد المسلمين^(٤٢٩).

وبالفعل، استطاعت هذه القوى المجتمعة مهاجمة ساقية جيش المسلمين، والتي كانت بقيادة عبد الرحمن بن مسلم الباهلي، وأنزلت بهم خسائر فادحة. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى قتيبة عاد مسرعاً لمحاربة هؤلاء، وعندما رآه الجنود طابت نفوسهم وقاتلوا بشجاعة كبيرة، حتى كتب الله تعالى لهم النصر على أعدائهم، وفرت جيوش الترك أمامهم. وبعد أن أمن قتيبة على جيشه عاد إلى مرو ليأخذ قسطاً من الراحة.

(٤٢٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٤.

(٤٢٧) د. محمد أحمد: بخارى في صدر الإسلام، ص ٥٩.

(٤٢٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٤٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٧٤.

(٤٢٩) النرخشي: تاريخ بخارى، ص ٧٥.

(ج) فتح بخارى:

فى سنة (٨٩هـ / ٧٠٧م) ورد إلى قتيبة كتاب من الوالى الحجاج بن يوسف، يأمره بغزو بخارى - وكان ملكها حينئذ (وردان خذاه) ^(٤٣٠) الذى اغتصب الملك من طغشاده بن خاتون ^(٤٣١). فعبّر قتيبة نهر جيحون عند زمّ، فلقبه أهل كش ونسف - فى طريق المغازة (الصحراء) - وقاتلوه، وانتصر عليهم، غير أنه لم يفتحهما - ومضى فى طريقة إلى بخارى، فنزل مدينة خرقانه السفلى، فلقوه بجمع كبير، واستطاع المسلمون تحقيق النصر بعد قتال استمر يومين كاملين.

ثم اتجه قتيبة إلى (وردان خذاه) - ملك بخارى - فلم يظفر منه بشئ فعاد إلى مرو. وكتب إلى الحجاج خبره؛ فكتب إليه أن صوّرها لى (خريطة لبخارى). ففعل قتيبة، فكتب إليه الحجاج: «تب إلى الله - جل ثناؤه - مما كان منك وأنتها من مكان كذا وكذا، وأن كسّ بكش، وانسف نسف، ورد وردان، وإياك والتحويط؛ ودعنى من ثنيات الطريق وأرجع إلى مراغتك» ^(٤٣٢). يفهم من وصية الحجاج أن على قتيبة أن يفتح بخارى أولاً، بحيث يجعلها قاعدة له ينطلق منها إلى باقى مدن الإقليم. وعلى ذلك يحمل كلام النرشخى الذى ذكر فيه: أن قتيبة فتح بخارى فى المرة الرابعة ^(٤٣٣). ولعله يعنى فى الحملة الرابعة على المدينة.

(٤٣٠) الدينورى؛ الأخبار الطوال، ص ٤٧٦. وعنده «صول».

(٤٣١) على رواية النرشخى، أن الملكة خاتون هى التى كانت تحكم البلاد؛ وهذه رواية غير مقبولة، لأن هذه السيدة تكون قد بلغت من العمر مرحلة لا تستطيع معها أن تدير الحروب. النرشخى: المصدر السابق، ص ٧٥.

(٤٣٢) الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٣، ص ٦٧٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٤٩. انسف: بمعنى دمر بلدة نسف، إياك التحويط: بمعنى: احذر من التردد أو اللجوء إلى الأهداف الثانوية وركز على المواقع الهامة. بنيات الطريق: أى سلك الطريق المستقيم الذى لا تعرج فيه. أرجع إلى مراغتك: أى أرجع إلى بخارى واجعلها هدفاً لك. (٤٣٣) النرشخى: تاريخ بخارى، ص ٧٦.

وعلى كل؛ أهلت سنة (٩٠هـ / ٧٠٨م) وقتيبة مستعداً لفتح بخارى نهائياً طبقاً لوصية الحجاج السابقة. وفي نفس الوقت كان «وردن خذاه» يستنصر ملوك الترك والصغد، حتى حضر إليه جمع كبير منهم. ودارت المعركة، واشتد القتال، حتى فشلت قبيلة الأزد، في الدفاع عن مقدمة جيش المسلمين، مما اضطر قتيبة للذهاب إلى بني تميم - مثيراً حماسهم بقوله: «يوماً كأيامكم». فعبر منهم ثمانمائة رجل نهر جيحون واستمر القتال حتى كتب الله النصر للمسلمين وفر الترك. فنادى قتيبة: «من جاء برأس فله مائة درهم»^(٤٣٤). وفتح الله تعالى على المسلمين، وكتب قتيبة بهذا الفتح العظيم إلى الحجاج في العراق. وقبل أن يغادر فتح بخارى، أقول بعدم قبول رواية البلاذري؛ والتي ملخصها: أن قتيبة أتى بخارى فلم يستطع فتحها، فطلب من سكانها السماح له بالدخول إليها لصلاة ركعتين بها، وبعد أن أذنوا له. أكرم لهم قومًا كاثروا على باب المدينة حتى دخلوها وغدروا بأهلها^(٤٣٥).

هذه رواية غير مقبولة، ومردودة من عدة وجوه، أولاً: من المستبعد أن يسمح سكان مدينة بخارى للمسلمين بدخولها بهذه السهولة، وهم على علم بقدمهم. بدليل التحالف الذي عقده حاكم المدينة مع ملوك الصغد والترك. ثانياً: لأن هذه الرواية تُظهر المسلمين في صورة المخالفين للوعد، المظهرين الغدر، وتنكر - في نفس الوقت - جهاد المسلمين وصبرهم الطويل في القتال حتى كتب الله تعالى لهم النصر على أعدائهم. وفي الختام، أقول: هكذا استطاع المسلمون أن يفتحوا مدينة بخارى العريقة، وأن يؤكدوا النفوذ الإسلامي في نهر جيحون، وأن ينشروا

(٤٣٤) الطبري: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٦٨١، ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٢٥٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٧٦.
(٤٣٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٤ - ٥٥٥.

الإسلام فى هذه الأماكن التى أنجبت خيرة علماء الإسلام. أما قتيبة فكان عليه أن يولى وجهة لفتح باقى مدن بخارى.

(د) فتح باقى إقليم بخارى:

سبقت الإشارة - منذ قليل - إلى أن قتيبة قد حارب مدينتى كش ونسف، غير أنه لم يحكم سيطرته عليهما. وطبقاً لوصية الحجاج - خطته العسكرية - اتجه قتيبة لفتح بخارى أولاً، وبعد فتحها، يمم وجهه إلى مدينة شومان لأن ملكها طرد عامل قتيبة - لم تذكر المصادر اسمه - من المدينة، وأعلن الثورة ضد المسلمين، فأرسل إليه قتيبة عياش بن عبد الله الغنوى يدعوهُ إلى الطاعة. فرفض وحارب المسلمين، فسار إليه قتيبة بنفسه وفتح المدينة عنوة^(٤٣٦). ثم سار إلى كش ونسف وفتحهما صلحاً^(٤٣٧). ووقى الله تعالى نَسْفَ من النَّسْفِ.

(هـ) القضاء على نيزك:

سبق الحديث عن نيزك - حاكم باذغيس - بأنه قد ساعد قتيبة فى فتح بعض بلدان ما وراء النهر، وقبل فتح بخارى استأذن قتيبة فى العودة إلى طخارستان. وبعد عودته إلى المدينة، أعلن الثورة، وتحالف مع ملوك بلخ، ومرو الروذ، والطالقان، والفارياب، والجوزجان، وملك كابل. وعندما بلغ قتيبة هذا التحالف أرسل أخوه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر ألفاً للقضاء على نيزك.

(٤٣٦) البلاذرى: نفس المصدر، ص ٥٥٥، ابن كثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٨٠-٨٢.
(٤٣٧) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٢٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٦١-٢٦٢.

نجح عبد الرحمن فى فتح مدينة البروقان. وبعد وصول قتيبة سارا معاً إلى الطالقان، ومنها إلى الفارياب، والتي أعلن ملكها الدخول فى طاعة المسلمين، فعفا عنهم قتيبة. ثم سار إلى شُعْب خُلْم ففتحه دون عناء^(٤٣٨)، ثم مضى منها إلى سمنجان فأقام بها أياماً. وقَدَم عبد الرحمن لمواصلة الحرب ضد نيزك، الذى فر إلى بغلان. وحقق عبد الرحمن الانتصار عليه، واضطره إلى الفرار إلى حصن بالكُرُز - بالقرب من الطالقان - . وخاف قتيبة أن يحل على المسلمين الشتاء، وهم على هذه الحالة، فأرسل سُلَيْمًا الناصح قائلاً: «انطلق إلى نيزك، واحتل، لتأتيني به بغير أمان» وبالفعل نجح سُلَيْم فى مهمته، وقدم بنيزك على قتيبة، فقتله بعد مشاورة الحجاج بن يوسف^(٤٣٩). وهكذا؛ يكون قتيبة قد نجح فى القضاء على التحالف الذى تزعمه نيزك، ونجح كذلك فى فتح باقى مدن إقليم بخارى. يقول ابن كثير: «وفى هذا العام (٩١هـ / ٧٠٩م) فتح قتيبة مدناً كثيرة، وأخذ حصوناً كثيرة مشحونة بالأموال والنساء، والكثير من آنية الذهب والفضة»^(٤٤٠).

وفى ختام هذه المرحلة، يكون قتيبة قد نجح فى فتح بيكند، وبخارى، وكش، ونسف، وشومان. وأحكم سيطرته على إقليم طخارستان، وقضى على التحالف الذى تزعمه نيزك، وبات الجميع يخشى قوة المسلمين. لذا فقد صار لفتح بخارى أثر كبير فى إظهار قوة المسلمين فى هذه البلاد^(٤٤١)، بل وفى المراحل القادمة.

(٤٣٨) البلاذرى: المصدر السابق، ص ٥٥٥، ابن الأثير: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١، الترشى: تاريخ بخارى، ص ٧٥-٧٦.
(٤٣٩) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ح ٢، ص ٢٠١، ابن الجوزى: المنتظم، ج ٦، ص ٢٩٥-٢٩٩.

(٤٤٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٨٠.
(٤٤١) د. حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص ١٢٥.

المرحلة الثالثة: فتح خوارزم وسمرقند (٩١-٩٣هـ / ٧١٠-٧١٢م):

هذه هي المرحلة الثالثة من مراحل الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، وفي هذه المرحلة فرض قتيبة السيادة الإسلامية على حوض نهر جيحون وتوج عمله فيها بالاستيلاء على خوارزم وسمرقند^(٤٤٢).

(أ) فتح خوارزم:

في سنة (٩٣هـ / ٧١١م) وجّه قتيبة جيشه لفتح خوارزم، والسبب في ذلك أن ملكها المسمى (خرزاد)^(٤٤٣) استدعى جيش المسلمين للقضاء على استبداد أخيه (خام جرد)، الذي عاث في الرعية فساداً، وسلبهم أموالهم وأعراضهم. فكتب ملك خوارزم إلى قتيبة يدعوه لغزو المدينة على أن يمكنه من أخيه وصحبه.

ويبدو أن هذه الرسالة قد صادفت هوى في نفس قتيبة، فتجهز للغزو. وزيادة في الحذر، أظهر أنه يريد الصغد. أما ملك خوارزم، فقد جمع جنوده وقال لهم: «إن قتيبة يريد الصغد وليس يغازيكم، فهل نتنعم في ربيعنا هذا». فلم يشعروا حتى نزل قتيبة مدينة هزار أسب^(٤٤٤) وصالح ملكها على عشرة آلاف رأس^(٤٤٥) بالإضافة إلى بعض المتاع. وبعد عقد الصلح أرسل قتيبة عبد الرحمن بن مسلم للقضاء على خام جرد، ونجح عبد الرحمن في قتله والاستيلاء على أرضه، ثم عينه قتيبة حاكماً على المدينة^(٤٤٦).

(٤٤٢) د. عبد الشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٦.

(٤٤٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٥، الطبري: تاريخ الأمم، ج٤، ص ١٢، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٧٣، وعنده «خرزاد».

(٤٤٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص ٣٠٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ٨٣.

(٤٤٥) يريد: أن هؤلاء يأخذ منهم الجزية، وإلا فمن البعيد استرقاق هذا العدد الضخم إذ ماذا يصنع بهم قتيبة، وأى طعام يكفيهم. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص ٦٣.

(٤٤٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٥، وعنده تعيين «عبيد الله بن مسلم» واليعقوبي: =

(ب) فتح سمرقند:

بعد أن فتح قتيبة خوارزم، قام إليه القائد المُجشَّر بن مُزاحم السُّلَمي وقال له سرّاً: إن أردت الصغد (سمرقند) يوماً من الدهر، فالآن. فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا وإنما بينك وبينهم عشرة أيام. فقال قتيبة: هل أشار عليك بهذا أحد؟ قال: لا. فقال: أفسعه منك أحد؟ قال: لا، فقال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك^(٤٤٧). وهذا يدلنا على ما تمتع به قتيبة من حصافة العقل، حيث طبق مبدأ السرية في الأعمال العسكرية.

يفهم من هذه الرواية أن فتح سمرقند قد جاء تنمة لفتوحات قتيبة في وادي جيحون؛ وقد جاء هذا الرأي بمشورة أحد جنوده، ولعل هذا قد صادف فكرة في نفس قتيبة. غير أن أحد الباحثين المحدثين يرى أن توجه قتيبة لفتح سمرقند قد جاء لنقض طرخون - ملك سمرقند - للصلح الذي أبرمه مع قتيبة عام (٩٠هـ / ٧١١م) - بعد فتح بخارى - وأنه قد امتنع عن دفع الجزية للمسلمين^(٤٤٨).

ويبدو لي أنه لا تناقض بين الروایتين؛ فقد يكون قتيبة قد خطط لفتح سمرقند، منذ انتهى من فتح بخارى، غير أنه لم يجد الفرصة بسبب الصلح الذي عقده مع ملك سمرقند. وعندما نقض هذا الملك صلحه مع المسلمين، لم يجد قتيبة حينئذ ما يمنعه من فتح المدينة. بقي أن أشير إلى أن أهل سمرقند قد خلعوا طرخون بسبب قبوله دفع

=تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٠١ ويسمى ملكها «سعيد بن ونوفار». وعين قتيبة على المدينة «عبد الله بن أبي عبد الله الكرمانى».

(٤٤٧) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٧٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ٨٣.

(٤٤٨) د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٧.

الجزية للمسلمين، فحبسه قومه، وقتل نفسه في السجن، وتولى مكانه غوزك^(٤٤٩) والذي كان عليه أن يواجه جيوش المسلمين.

نعود إلى قتيبة فنراه - زيادة في السرية - يأمر أخاه عبد الرحمن بالسير بالفرسان والرماة والأثقال إلى مرو. وبالفعل سار الجيش يومه حتى أمسى. وهناك أمره قتيبة بتوجيه الأثقال إلى مرو، وأن يسير هو بالفرسان والرماة نحو سمرقند. وأمره بكتم الأخبار، وأعلمه أنه قادم خلفه. وبالفعل، بعد ثلاثة أيام وصل قتيبة ومعه أهل خوارزم و بخارى إلى أبواب مدينة سمرقند.

وهذه خطوة جديدة، في طريق نشر الإسلام، حيث نجح قتيبة في تجنيد أهل خوارزم و بخارى في صفوف المسلمين. وهذا لا يتأتى إلا أن يكون هؤلاء قد حُسن إسلامهم. لدرجة تجعلهم يقاتلون بنى جلدتهم من أجل الإسلام. ومما يدل على شجاعة هؤلاء أن غوزك - حاكم سمرقند - كان يعير قتيبة بقوله: «إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم، فأخرج إلى العرب»^(٤٥٠).

على كل حال، وصلت جيوش المسلمين إلى أبواب سمرقند، وفرض قتيبة حصاره على المدينة شهراً كاملاً. وطلب ملكهم النجدة من ملوك الشاش، وفرغانة. واستجاب هؤلاء الملوك، وأرسلوا جيوشهم لمحاربة قتيبة - أثناء انشغاله بحصار سمرقند، ولكنه كان يقظاً باتاً عيونه؛ ولم يغيب عن باله حدوث مثل هذه المفاجآت. فأرسل إليهم فرقة من جنده بقيادة صالح بن مسلم. والذي نجح في القضاء عليهم، ولم يقلت

(٤٤٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج-٢، ص ٢٠١. وكتابه البلدان، ص ٣٠٠. فامبرى:

تاريخ بخارى، ص ٦٦.

(٤٥٠) بارتولد: تركستان، ص ٣٠٣.

منه إلا الشريد. وغنم المسلمون أسلحتهم وأمتعتهم^(٤٥١). عندما وصلت هذه الأنباء أهل سمرقند انكسروا، وضيق عليهم قتيبة الحصار، ونصب المجانيق على المدينة، حتى أحدثوا فيها ثلماً. وصاح قتيبة - صيحة الأسد - يثير حماسة جنوده: «حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان؟! أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية». فلما أصبح أمر الناس بالجّد في القتال. فقاتلوهم أشد القتال، وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلماً المدينة، فقاتلوهم. حتى صاروا على تلك الثلثة. وعندما رأى أهل سمرقند شدة الحصار ونجاح قتيبة في الوصول على أبواب المدينة طلبوا الصلح^(٤٥٢). فوافق قتيبة وصالحهم على جزية مقدارها مليون ومائتي ألف مثقال يؤدونها للمسلمين كل عام، وأن يخلوا المدينة من المقاتلين^(٤٥٣). وأن يبني فيها مسجد. ثم أمر غوزك - ملك سمرقند - بالرحيل عنها، خوفاً من أن يتجمع الثوار حوله. ثم أرسل قتيبة إلى الحجاج يخبره بفتح سمرقند. وبعد أن اطمئن قتيبة على المسلمين في المدينة، استخلف عليها عبد الله بن مسلم^(٤٥٤) وعاد هو إلى مرو. هذا، وقد تغنى الشعراء بهذا الفتح العظيم للقائد المظفر قتيبة بن مسلم فقال كعب الأشقرى:

(٤٥١) د. عبد الشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٨.
(٤٥٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٥، الطبري: تاريخ الأمم، ج ٤، ص ١٥-١٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٤-٢٧٥.
(٤٥٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ص ٩٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٨٤-٨٥، ويذكر من شروط الصلح: أن تؤدى سمرقند إلى المسلمين مائة ألف من الرقيق، وهذه الرواية لا تتفق مع واقع المسلمين، وأحسب أن فيها شيء من المبالغة.
(٤٥٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٣٠٩، وعنده أن الذي تولى حكم المدينة عبد الرحمن بن مسلم. وقد سبق القول أن عبد الرحمن كان يحكم خوارزم.

كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِي قُتَيْبَةً نَهَبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا
بَاهِلَى قَدِ الْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سُودَا
دَوَّخَ الصُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ الصَّغْدَ بِالْعَرَاءِ قَعُودَا
فَوَلَّيْدُ يَبْكِي لَفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مَوْجِعٌ يَبْكِي الْوَلِيدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَةٍ أَوْ أَتَاهَا تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أَخْدُودَا^(٤٥٥)

هذه هي الرواية الصحيحة التي تتفق مع أحداث الفتح الإسلامي، ومع سلوك المسلمين الفاتحين. والآن، نناقش آراء المؤرخين المختلفة حول فتح سمرقند. فقد ذكر الدينوري، ويتبعه فامبرى، في أحداث الفتح، أسطورة ملخصها: أن قتيبة احتال في فتح المدينة، عندما ينس من فتحها بالقوة العسكرية، فهيأ صناديق، وجعل لها أبواباً من أسافلها تفتح وتغلق من الداخل، وجعل في كل صندوق رجلاً ومعه سيفه.. وأرسل هذه الصناديق إلى حاكم سمرقند؛ ليودعها عنده أمانة لقتيبة وأوهمه أنه راحل بجيشه إلى الصغانيين. وتمضى الأسطورة فتقول: إن هذه الصناديق دخلت المدينة. ولما جن الليل، وهداً الناس، خرج الرجال من الصناديق ومعهم السيوف، لا يقابلهم أحد إلا قتلوه، حتى قتلوا حراس أبواب المدينة، وفتحوها لقتيبة وجيشه. وأمام هذا الهجوم هرب حاكم المدينة^(٤٥٦)، وبذلك أصبحت سمرقند في قبضة قتيبة.

وأعتقد أن هذه أسطورة لا تستحق الرد عليها. فهي تصور المسلمين بهذا الخداع والمكر والخبث، وكأنهم لا هم لهم إلا القتل وسفك الدماء. وهذا لا يتفق مطلقاً مع روح الإسلام، ولا مع سلوك المسلمين الفاتحين،

(٤٥٥) ابن الأثيري: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٧، ابن كثير: البداية والنهاية ج ٢١٩، ص ٨٥

(٤٥٦) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٤٧٧.

وهى فى نفس الوقت تصور حاكم المدينة وجيوشه بهذه الساذجة والبلالة لدرجة لا تتفق مع العقل ولا مع ما ذكرته المصادر من شجاعة هؤلاء القوم.

أما المستشرق المجرى فامبرى، فهو كعادته يترك الروايات الصحيحة التى وردت فى المصادر الإسلامية الموثوقة، ويأخذ الروايات الواهية، ولا يكتفى بذلك، بل يزيد عليها كذباً وافتراء، فهو يصور المسلمين فى صورة السفاحين الذين قتلوا حاكم المدينة، وأبادوا جيشه وأسروا جميع النساء، وبعثوا بهن إلى مقر الخلافة فى دمشق، لتوزع على الخليفة والأمراء^(٤٥٧). وهذا الكلام مخالف للروايات الإسلامية الصحيحة. ولواطع فامبرى على مصادرنا الإسلامية، وقرأها قراءة متأنية، بعيداً عن التعصب الأعمى لغير هذا الكلام.

ونأتى إلى رواية اليعقوبى والتى ملخصها: أن قتيبة فشل فى فتح المدينة عسكرياً، فطلب الصلح من حاكم المدينة فرفض، قائلاً: «علام نصالحكم وبلدنا لا يدخله إلا رجلا». أما أحدهما: فيسمى «قيل». والآخر: «أكاف» - وهى كلمة فارسية تعنى قتب البعير - فكبر قتيبة وكبر المسلمون معه. قائلين: أميرنا اسمه «قيل أكاف». وهى معنى كلمة قتيبة وتمضى الرواية فتذكر: أن أهل سمرقند قد أذعنوا للصلح، ودفعوا لقتيبة ثلاثة آلاف درهم. ويختتم اليعقوبى كلامه بأن هذا الفتح كان فى سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)^(٤٥٨).

أقول؛ وهذه أيضاً أسطورة، ولا ترقى إلى تسميتها بالرواية التاريخية فهى تنكر جهاد المسلمين فى فتح سمرقند، وترجع عملية الفتح إلى شيء خرافى، أما عن سنة الفتح؛ فهى بإجماع المؤرخين سنة (٩٣هـ/ ٧١١م).

(٤٥٧) فامبرى: تاريخ، بخارى، ص ٦٦.

(٤٥٨) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٢٠١.

ومهما يكن من ضعف هذه الروايات - الأساطير - فقد نجح قتيبة في فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد. وفرض سيطرته الكاملة على حوض نهر جيحون. هذا، وقد أن الأوان للمسلمين بعد هذا الجهاد الطويل، أن يأخذوا قسطاً من الراحة التي كانوا جديرين بها. فرجع بهم قتيبة إلى مرو، فقصوا فصل الشتاء بها، وتزود قتيبة بمدد قوى، تقدم به في الربيع التالي لغزو أقاليم نهر سيحون.

المرحلة الرابعة: فتح فرغانة والشاش وكاشغر) ٩٤ - ٩٦هـ/

٧١٢ - ٧١٤م):

في هذه المرحلة اتجهت الحملات العربية الإسلامية إلى إخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون. ومما يجدر ذكره، أن الجهود الحربية في هذه المنطقة لم تقترن كلها باسم قتيبة بن مسلم، بل كان يُرسل - في الوقت نفسه - الحملات الصغرى بقيادة الأمراء لفتح المناطق النائية^(٤٥٩). ومن جهة ثانية، نجد أن المقاومة في هذه المناطق كانت أشرس وأعنف من المناطق السابقة، وذلك لما اشتهر عن سكان إقليم فرغانة والشاش، من القوة والشجاعة والبأس والجرأة والإقدام، حتى كانوا مضرب المثل في ذلك. يقول الجاحظ: «والأتراك تطعن طعن الخوارج وإن شد منهم ألف فارس فرموا وشقاً واحداً صرعوا ألف فارس، فما بقاء جيش على هذا النوع من الشدة؛ والتركي يرمى الوحش والطير والناس والمجثمات والمثل الموضوعة، ويرمى مدبراً ومقبلاً، ويمنةً وبسرةً وصعداً وسُفلاً، ويركض دابته منحدرًا من جبل، أو مستفلاً إلى بطن واد بأكثر مما يكن الخارجي على بسيط الأرض»^(٤٦٠). والآن، نتبع حركة الفتح.

(٤٥٩) د. حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص ١٢٥.

(٤٦٠) الجاحظ: رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة، رسائل الجاحظ، ج١، ص ٤٥.

(أ) فتح إقليم فرغانة والشاش :

بعد أن حصل المسلمون على قسط من الراحة ، وبحلول صيف عام (٩٤هـ / ٧١٢م) عبرت جيوش المسلمين نهر جيحون ، وجمع قتيبة من أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرون ألف مقاتل. وهذا يؤكد حُسْن إسلام هؤلاء لدرجة جعلتهم يخرجون للجهاد فى صفوف المسلمين ضد أبناء جلدتهم. وعلى كل ، فقد قسم قتيبة جيشه إلى فرقتين : اتجهت الأولى : لفتح إقليم الشاش ، وتوجه هو على رأس الفرقة الثانية : لفتح إقليم فرغانة.

وفى مدينة خُجندة اصطدم قتيبة بالعدو ، واقتتلوا مرارًا كان الظفر فى كل مرة لصالح المسلمين ، ونجح قتيبة فى فتح المدينة ، ثم سار إلى مدينة كاشان ، وفرض الحصار عليها. بالرغم من وصول الجيش الإسلامى الذى نجح فى فتح الشاش ، وانضمامه إلى قتيبة ، على الرغم من ذلك لم يستطع قتيبة فتح المدينة^(٤٦١) ، فانصرف منها إلى مرو.

أرسل قتيبة إلى الحجاج بن يوسف يطلب منه مددًا ، وبحلول عام (٩٥هـ / ٧١٣م) وصلت قوات من العراق لمساعدة قتيبة ، وفى نفس الوقت أمر الحجاج محمد بن القاسم الثقفى ، أن يوجه إليه من السند مددًا أيضًا^(٤٦٢). وهكذا أصبح جيش قتيبة أكبر عددًا ، وأكثر قوة ، واستطاع فتح إقليم فرغانة^(٤٦٣).

(٤٦١) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٥٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ١١٣.

(٤٦٢) د. عبد الشافى محمد: العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص ٣٤٩.

(٤٦٣) الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٤، ص ٢١-٢٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٨٣،

ابن الجوزى: المنتظم، ج ٦، ص ٣١٧-٣٣٥.

وبعد أن تم لقتيبة هذا الفتح الكبير، جاءته الأخبار المحزنة بوفاة الحجاج بن يوسف فغمه ذلك. وقفل راجعاً إلى مرو، بعد أن ترك حامية ضخمة في المدن التي فتحها.

(ب) فتح كاشغر^(٤٦٤) وغزو الصين:

كان الخليفة الوليد بن عبد الملك يعرف طبيعة العلاقة بين الحجاج وابن يوسف وكتيبة بن مسلم؛ لذا فقد أرسل إليه رسالة واساه فيها، وشجعه على مواصلة الفتح. وهذا يؤكد - ما قلناه سابقاً - من أن وقوف الخلافة^(٤٦٥) إلى جانب القادة كان من أهم الأسباب التي ساعدت على نجاح الفتوحات الإسلامية ومما جاء في هذه الرسالة: «قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك، وصانع بك الذي يجب لك، فأتم مغازيك، وانتظر ثواب ربك، ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك، حتى كأني أنظر إلى بلاءك، والثغر الذي أنت فيه»^(٤٦٦). وكان لهذه الرسالة أثر طيب في نفس قتيبة، تحته على مواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى.

استهل قتيبة عام (٩٦هـ/ ٧١٤م) بعبور نهر جيحون، واستعمل رجالاً - لم تذكر المصادر اسمه - على معبر النهر؛ ليمنع عودة الجنود إلا بإذن منه.. وهذا يدلنا على ذكاء قتيبة العسكري؛ والذي عودنا عليه. ثم سار إلى فرغانة، وهناك وصل إليه نبأ وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك، ومع ذلك فقد سار إلى مدينة كاشغر، فحاربهم وغنم وسبى^(٤٦٧).

(٤٦٤) كاشغر: مدينة وقرى ورساتيق. تقع في وسط بلاد الترك، وهي أدنى مدن الصين، ويسافر إليها من سمرقند، ياقوت: المعجم، ج٤، ص ٤٣٠. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٣٠.

(٤٦٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٤٢٤.

(٤٦٦) الطبري: تاريخ الأمم، ج٤، ص ٣٠، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٨٣.

(٤٦٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص ١٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ١٣٦-١٣٧.

وأوغل في بلاد الصين، مما اضطر ملكهم أن يُرسل إلى القائد يطلب منه المفاوضة. وبعد حديث طويل بين الوفد وملك الصين^(٤٦٨)، اتفق الطرفان على أن يُرسل ملك الصين الجزية للمسلمين، بالإضافة إلى بعض الهدايا النفيسة من الحرير.

وهكذا؛ يتضح لنا أن الفتوحات الإسلامية قد وصلت بالفعل إلى مدينة كاشغر - إحدى مدن الصين - وفي هذا أكبر ردّ على المستشرق الإنجليزى جب الذى زعم أن جيوش المسلمين لم تصل إلى هذه المدينة^(٤٦٩). على حين يؤكد المستشرق المجرى فامبرى، أن جيوش المسلمين قد وصلت إلى تركستان الشرقية، وهاجمت أمراء الأويغور، وأن مدينة كانتون^(٤٧٠) كانت هى آخر حدود الإسلام الشرقية^(٤٧١).

فتح إقليم أشروسنة:

لم أعرثر فى المصادر - على قدر علمى - إلى ما يشير إلى تفاصيل فتح هذا الإقليم. وإن كنت أرى أن فتحه قد جاء فى خطوة سابقة على فتح فرغانة أو على الأقل قبل فتح كاشغر. وذلك نظرًا لأهمية هذا الإقليم المتاخم لمدينة سمرقند، والمشهور فى نفس الوقت بحدوده الطبيعية المنيعه. إذ يصبح - من الصعب جدًّا - على المسلمين مواصلة الفتح فى حوض نهر سيحون إلا إذا أمنوا - بنجاح وقوة - إقليم أشروسنة.

(٤٦٨) التفاصيل، الطبرى: المصد السابق، نفس الجزء، ص ٣٢، ابن الأثير: المصد السابق، نفس الجزء، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(469)Gibb: The Arab Conquests. p.67

(٤٧٠) كانتون: لم أعرثر عليها فى مصادرننا الجغرافية، وهى إحدى مدن الصين حاليًا وللمزيد انظر، فهمى هويدى: الإسلام فى الصين، ص ١٨، ٤٨.
(٤٧١) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٦٩.

وهكذا؛ انتهت المرحلة الرابعة والأخيرة من فتوحات المسلمين على يد القائد المظفر، على الهمة في الجهاد؛ وفي نشر الإسلام، قتيبة بن مسلم الباهلي، بعد أن أصبحت بلاد ما وراء النهر جزءاً من الدولة الإسلامية نهاية قتيبة بن مسلم الباهلي:

ونعود إلى مقر الخلافة الإسلامية في دمشق، فنجد أن سليمان ابن عبد الملك قد تولى الخلافة بعد وفاة الوليد. وهبت رياح التغيير وخاف قتيبة من أن يعزله الخليفة، فأرسل إليه عدة رسائل^(٤٧٢)، غير أنه لم ينتظر الجواب، وأعلن الثورة في فرغانة، ودعا الناس إلى خلع الخليفة سليمان بن عبد الملك. ودون الدخول في التفاصيل^(٤٧٣)، أقول: لقي هذا القائد المظفر ربه على يد وكيع بن أبي سود المشهور بالكبر، والحدق على قتيبة^(٤٧٤). والذي أراد أن يتقرب بهذه الفعلة إلى الخليفة سليمان. والخسارة الكبرى، لم تكن في قتل قتيبة فقد، بل في قتل أحد عشر رجلاً من أهل بيته، كل منهم كان له دور في الفتح، لا يقل عن قتيبة بن مسلم، ومنهم إخوته: عبد الرحمن، وعبد الله، وصالح^(٤٧٥)، وغيرهم. أقول؛ كم خسرت الدولة الإسلامية من قادة عظام بسبب الخلافات السياسية!؟

والجدير بالذكر، أن فاجعة المسلمين كانت كبيرة في قتل آل مسلم الباهلي، فرثى الشعراء قتيبة، ومنهم عبد الرحمن الباهلي، فقال:

(٤٧٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٩٧، ابن الجوزي: نفس المصدر، ج٦، ص١٨-١٩.

(٤٧٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٧. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٩٤.

(٤٧٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٥٩.

(٤٧٥) عن جهاد هؤلاء انظر، اللواء محمود خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ص٤٢٥ وما بعدها، وص٤٣٣ وما بعدها.

كأن أبا حفص قتيبة لم يَسِرْ بجيش إلى جيش ولم يعلُ منبراً ولم تخفق الرايات والجيش حوله وقوفٌ ولم يشهد له الناسُ عسكرياً دَعَتْهُ المَنَايا فاستجابَ لربه فما رزىَ الإسلامُ بعدَ محمدٍ بمثل أبي حفص فبكيه عبَّهراً^(٤٧٦)

والحافظ ابن كثير يثني على القائد قتيبة في كلام بليغ فيقول: «إنه ما كسرت له راية؛ وكان من المجاهدين في سبيل الله - تعالى - واجتمع له من العساكر ما لم تجتمع لغيره.... وكان قتيبة من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء، الكبراء، الشجعان، وذوى الحرب، والفتوحات السعيدة، والآراء الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله - عز وجل - من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام، والله سبحانه لا يضيع سعيه، ولا يخيب تعبهُ وجهاده، ولكن زل زلة كان فيها حتفه... لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته، ويضاعف به حسناته؛ والله يسامحه ويعفو عنه، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء»^(٤٧٧).

والفضل ما شهدت به الأعداء!! يقول فامبرى عن القائد قتيبة: «هكذا قضى قتيبة عمره المليء بالحياة، ذلك الرجل الذى أقام للإسلام فى أرض كانت على الدوام أخصب البقاع حمية وتحمساً للإسلام»^(٤٧٨). هذا، ولم تكن خسارة القائد قتيبة وآل بيته على المسلمين فقط، بل إن سكان بلاد ما وراء النهر وخراسان قد تحسروا على مقتله. فقد أورد ابن الأثير: أن رجلاً من عجم خراسان بعد مقتل قتيبة خاطب العرب

(٤٧٦) عبهراً: هي أم ولد لقتيبة، والأبيات في ابن الأثير: الكامل ٢ ج ٢٤ ص ٢٩٨، وابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٣، ص ٥١٣.
(٤٧٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٣٧ - ١٦١.
(٤٧٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٧٠.

بقوله: «يا معشر العرب!! قتلتم؟! والله لو كان قتيبة منا فمات، لجعلناه في تابوت، فكنا نستسقى به، ونستفتح به إذا غزونا، وما صنع أحد بخراسان قط ما صنع قتيبة»^(٤٧٩). وأسجل اعتراضى على قول الرجل «جعلناه في تابوت فكنا نستسقى به» لأن هذا مخالف للشرعة، ولكننى أوافقه على الشرط الثانى من قوله.

وأخيراً، أقول: إن قتل قتيبة كان فى مدينة فرغانة - إحدى أقاليم نهر سيحون ببلاد ما وراء النهر - فى شهر ذى الحجة سنة (٩٦هـ/ ٧١٥م). وكان عمره حين توفى سبعا وأربعين سنة. تولى خراسان للحجاج بن يوسف، فامتدت ولايته على سجستان وبلاد ما وراء النهر حتى حدود الصين شرقاً. وكانت ولايته عشر سنين فقد؛ استطاع فيها أن يحقق كل هذه الانتصارات الباهرة^(٤٨٠). فرحم الله القائد قتيبة، وغفر له، مضى إلى ربه - رضى الله عنه - وبقيت فتوحاته، وأيامه منارات تضيء لنا أعماق التاريخ، وترسل بظلالها إلى نهاية التاريخ.

أما عن أحوال بلاد ما وراء النهر بعد وفاة قتيبة بن مسلم إلى حين قيام الدولة العباسية، فملخصها: «أن كانت (الدولة الأموية) لم تضيف جديداً إلى فتوحات قتيبة فى هذا الجزء من العالم، إلا أنها لم تتراجع، ولم تخسر أرضاً واحتفظت بمواقعها، ونهض الولاة فى هذه المناطق بمسئولياتهم، وهياؤوا لقبول الإسلام، وجعلها جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامى»^(٤٨١).

(٤٧٩) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٩٨.

(٤٨٠) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٣٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٥١٣.

(٤٨١) د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص ٣٥٣.

الخاتمة

وأهم نتائج البحث

الحمد لله الذى بفضلہ تتم النعم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. وبعد: فهذه خاتمة حاولت أن أبلور فيها أهم النتائج التى توصل إليها البحث.

(١) أثبت البحث أن بلاد ما وراء النهر فى الدولة الإسلامية كانت تشمل المناطق الخصبة السهلة الواقعة بين نهري سيحون - سير دريا حالياً - وجيحون - أمودريا حالياً - اللذين يصبان فى بحر خوارزم - أرال حالياً - والشاطئ الأيسر لنهر سيحون ويشمل طخارستان والختل والصغانيان.

(٢) أثبت البحث بالرجوع إلى المصادر الجغرافية أن مدينة بخارى كانت مدينة عظيمة؛ كانت تمتاز بقصورها العالية؛ وجناتها المتدانية؛ وقراها المتصلة العمارة، وكانت مساحتها تصل إلى سبعة وثلاثين ميلاً فى مثلها.

(٣) كشف البحث عن عراقه وقدم مدينة سمرقند التى تضرب بجذورها فى التاريخ، وقد تغنى الرحالة المسلمون وأبدعوا فى وصفها. وفضلوها على سائر بقاع الأرض. حتى أصبحت بأنهاها المتدفقة، وجوها العليل، مطمح الأنفس، فصارت مقراً للتجار يجتمعون فيها من الآفاق.

(٤) عالج البحث بالتفصيل آراء المؤرخين المحدثين حول السكان الأصليين لبلاد ما وراء النهر. ثم خلصت الدراسة إلى أن هذه البلاد

كان يسكنها خليط من عدة عناصر مختلفة، ومنها: العنصر الآرى، والصينى، والإيرانى، والتركى، وإن كان لهذا العنصر الغلبة على باقى العناصر الأخرى.

(٥) أظهر البحث أن بلاد ما وراء النهر - قبل الفتح الإسلامى - كانت تعاني من التفكك السياسى، فلم تعرف قيام حكومة مركزية وظهرت فيها عدة ممالك مستقلة عن بعضها البعض، كانت متحاربة باستمرار. يحكم كل منها «خان» تدفع له الجزية.

(٦) أظهر البحث - كذلك - أن مجتمع بلاد ما وراء النهر - قبل الفتح الإسلامى كان يعاني من التفكك الاجتماعى. فقد انقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الأغنياء، وتعرف ب«الدهاقين» وتمتعت بكافة الحقوق والمزايا. وطبقة أخرى فقيرة هي طبقة «الفلاحين» حُرمت من كل شىء؛ وكانت فى انتظار من يخلصهم من هذا الحكم الطبقي البغيض.

(٧) أظهر البحث أن مجتمع بلاد ما وراء النهر كان يعاني أيضاً من الاضطراب الدينى، حيث لم يعرف سكانه ديانة موحدة، تلتف حولها شعوب المنطقة بل على العكس، ظهرت عدة ديانات مختلفة منها: الزرادشتية، والبوذية، والمناوية، والمزدكية، والمسيحية، وأن هذه الديانات قد تسربت إليهم من الشعوب المجاورة لهم. غير أن هذه الديانات لم تشعر الناس بالأمان والطمأنينة، مما جعل المنطقة كلها مهياًة للدين الإسلامى الحنيف الذى سيخلصهم من كل هذه الأوهام.

(٨) كشف البحث عن تقدم وازدهار الحياة الاقتصادية فى بلاد ما وراء النهر قبل الفتح الإسلامى، فقد ازدهرت الزراعة، وراجت التجارة الداخلية، ونشطت التجارة الخارجية. ويرجع ذلك فى المقام

الأول إلى موقع هذه البلاد، على طريق الحرير، الذى صار همزة الوصل بين مناطق الإنتاج (آسيا) ومناطق التوزيع (أوربا) وغدت بيكنغ وسمرقند ونسف أهم مراكز تجارة وتوزيع الحرير فى العالم كله.

(٩) أثبت البحث أن فتح بلاد ما وراء النهر قد جاء نتيجة حتمية بعد نجاح المسلمين فى فتح إقليم خراسان، الذى أصبح قاعدة ثغرية تنطلق منها جيوش المسلمين. وأن الفضل الأكبر فى ذلك يرجع إلى القائد زياد بن أبية فى خلافة معاوية بن أبى سفيان.

(١٠) عالج البحث بالتفصيل جهود المسلمين الأوائل فى فتح بلاد ما وراء النهر منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان وحتى خلافة الوليد ابن عبد الملك، وأن هؤلاء القادة قد تحملوا الصعاب، واستطاعوا مقاومة طبيعة الإقليم قارسة البرودة، والذى لم يألفوه من قبل كما استطاعوا التغلب على الممرات الجبلية فى هذه البلاد، كل ذلك من أجل نشر الإسلام فى هذه المناطق، وليس كما يردد المستشرقون من أن الغرض من هذه الفتوحات الطمع فى خيرات هذه البلاد.

(١١) كشف البحث عن الدور المهم الذى قام به والى العراق الحجاج ابن يوسف الثقفى، فى مساندة القائد قتيبة بن مسلم الباهلى فى فتح بلاد ما وراء النهر، فقد كان الحجاج يطلع على تحركات قتيبة خطوة خطوة؛ ويمده بكل ما يحتاج إليه من المؤن والرجال، ولا يبخل عليه بالنصيحة والمشاورة، وإن كان للرجل (أعنى الحجاج) بعض الأخطاء فى المجال السياسى، إلا أنه - والحق يقال - كان له فضل كبير فى حركة الفتوحات الإسلامية فى المشرق الإسلامى كله.

(١٢) أكدت الدراسة على أن فتح المسلمين لمدن بخارى وسمرقند على يد القائد المظفر قتيبة بن مسلم الباهلى، قد جاء نتيجة جهد.

وكفاح، وجهاد في سبيل الله تعالى، وليس كما تُصوّر بعض الروايات الضعيفة، من خداع قتيبة لأهل هذه البلاد، وكذلك ما يردده المستشرقون من روايات أسطورية حول فتح هذه المدن. حيث وصلت جيوش المسلمين إلى مدينة كاشغر - إحدى مدن الصين - وبات الجميع في قارة آسيا يخشى قوة المسلمين، كل ذلك بفضل جهاد المسلمين.

(١٣) أبرز البحث بشيء من التفصيل الدور الذي لعبه القائد المظفر قتيبة بن مسلم الباهلي في فتوحات المشرق الإسلامي وخطأه في الثورة التي قام بها ضد الخليفة سليمان بن عبد الملك، والله وحده يعلم لوواصل قتيبة فتوحاته في هذه المناطق، لكان للإسلام شأن آخر في أنحاء آسيا. فرحم الله تعالى القائد قتيبة، وغفر له ذنبه، وهو سبحانه لا يضيع سعيه، ولا يخيب تعبته وجهاده، ولعله قدم من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته، ويضاعف به حسناته، ويعفو عنه، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء. وما زال قبره ماثلاً في مدينة فرغانة يذكرنا بالدور الواجب علينا نحن المسلمين من أجل هذا الدين الحنيف، دين الإسلام. بين سكان هذه البلاد.



ملحق رقم (١) خريطة بلاد ما وراء النهر



ملحق رقم (۲)



قائمة المصادر والمراجع

- أولا: المخطوطات.
- ثانيا: المصادر العربية.
- ثالثا: المصادر الفارسية المعربة.
- رابعا: المراجع العربية.
- خامسا: المراجع الأجنبية المعربة.
- سادسا: المراجع الأجنبية.
- سابعا: الدوريات العلمية.
- ثامنا: الرسائل العلمية.

- أولا: المخطوطات:

١. الخوارزمي: (أبو محمد محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان، ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م): تاريخ خوارزم. ٢٩٠ مجاميع تيمور، ميكروفيلم ١٥٥١٩.

٢. مؤلف مجهول: البلدان. ١٢٣ بلدان تيمور، ميكروفيلم ٣٠١٨١.

- ثانيا: المصادر العربية:

٣. ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ. تحقيق عبد الله القاضي، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤. الإدريسي: (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. جزءان، دار الثقافة الدينية، القاهرة. (بدون تاريخ).

٥. الإصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م): المسالك والممالك. تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة د. محمد شفيق غربال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، العدد (١١٩)، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٦. البلاذري: (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ/ ٨١٧م): فتوح البلدان. تحقيق د. عبد الأمير مهنا، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧. الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م): لطائف المعارف. تحقيق إبراهيم الإيباري، وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨. ابن الجوزى: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي البغدادي ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٩. ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض. دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، (بدون تاريخ).

١٠. ابن خرداذبة: (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت ٢٣٢هـ/٧٨٤م): المسالك والممالك. تحقيق دى جويه، المكتبة الجغرافية، ليدن، بريل، ١٨٨٩م.

١١. ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ٧ أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، العدد (١٥٥)، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، وهى مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى ببولاق، القاهرة، ١٢٨٤هـ.

١٢.: المقدمة، ٣ أجزاء، تحقيق د. علي عبد الواحد وافى، الهيئة العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦.

١٣. ابن خلكان: (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، خمسة أجزاء. تحقيق يوسف على طويل، د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٤. خليفة بن خياط: (أبى عمرو خليفة بن خياط أبى هبيرة الليثى العصفرى ت ٢٤٠هـ/٧٨٩م): تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق د. مصطفى نجيب فواز، د. حكمت كشلى فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٥. الخوارزمى: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧هـ/٩٨٨م): مفاتيح العلوم. تحقيق فان فلوتن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر العدد (١١٨). القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٦. أبو دلف: (مسعر بن المهلهل الخزرجى توفى نحو ٣٩٠هـ/١٠٠٠م): رحلة أبى دلف إلى بلاد الترك والصين والهند حوالى سنة ٣٣١هـ. دراسة وتحقيق د. مريزن سعيد مريزن عسبرى، مركز إحياء التراث الإسلامى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٧. ابن رسته: (أبو على أحمد بن عمر ت ٢٩٠هـ/٨٢٤م): الأعلام النفيسة، تحقيق دى جوية، المكتبة الجغرافية ليدن، بريل، ١٨٩١م.

١٨. الرمضى: (لم أعثر على ترجمة له): تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان وبلغار والتتار، جزءان، المطبعة الكريمة والحسينية، أورنبوغ، ١٢٣٥هـ - ١٩٠٨م.

١٩. السمعانى: (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م): الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٠. الشهرستانى: (أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر بن أحمد ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، ٣ أجزاء، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢١. الطبرى: (أبى جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٨٣٨م): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢. ابن عبد ربه الأندلسى: (أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٧هـ/٨٠٥م): العقد الفريد، ٧ أجزاء، تحقيق أحمد أمين، وآخرين الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، العدد (١١١). القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٣. أبو الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٨٤٠م.

٢٤. ابن فضال: (أحمد بن فضال بن العباس بن راشد بن حماد ت ٣١٢هـ/٨٤٠م): رسالة ابن فضال، فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس الصقالبة، تحقيق د. سامى الدهان، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م. وطبعة ثانية، تحقيق محفوظ أبو بكر بن معتومة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٥. ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت أواخر القرن الثالث الهجرى/ أوائل القرن العاشر الميلادى): مختصر كتاب البلدان، تحقيق دى جوية، المكتبة الجغرافية، ليدن، بريل، ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م.

٢٦. ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ت ٢٧٦هـ/٨١٥م): عيون الأخبار، ٤ أجزاء، تحقيق لجنة من العلماء بدار الكتب المصرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، العدد (١٠١)، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٧.: المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٨. القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الدراسات الشعبية، العدد (٧٨)، ٢٠٠٣م.

٢٩. القلقشندي: (الشيخ أبي العباس أحمد ت ٩٢١هـ/١٥١٥م): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ١٤ جزء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، العدد (١٣٠)، القاهرة، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٦م.

٣٠. ابن كثير: (إسماعيل بن كثير القرشى ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ - ٢٠١١م.

٣١. المسعودي: (أبو الحسن على بن الحسين بن على ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى السيد بن أبى ليلى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢. المقدسى: (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بالبشارى ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٣. ياقوت الحموى: (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ٤ أجزاء، دار إحياء التراث العربى، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٣. اليعقوبى: (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٢٠م): البلدان، تحقيق دى جويه، المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩١م.

٣٥.: تاريخ اليعقوبى، جزآن، علق عليه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

– ثالثاً: المصادر الفارسية المعربة:

٣٦. الكرديزي: (أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود ت ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م): زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية، د. عفاف السيد زيدان دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٧. مؤلف مجهول: (كتبه بالفارسية عام ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، عن مخطوط تومانسكى): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادى الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٨. النرشخى: (أبو بكر محمد بن جعفر ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٨م): تاريخ بخارى، ترجمه عن الفارسية وحققه، د. أمين عبد المجيد بدوى، د. نصر مبشر الطرازى، دار المعارف، ذخائر العرب، العدد (٤٠) الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

رابعاً: المراجع العربية:

٣٩. أكرم: السيد عبد المؤمن السيد: أضواء على تاريخ تركستان، مطبعة رابطة العالم الإسلام، مكة المكرمة، ١٣٩٥هـ.
٤٠. أمين: أحمد أمين (بك): ضحى الإسلام، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.
٤١.: ظهر الإسلام، ٤ أجزاء، النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٦٦م.
٤٢.: فجر الإسلام، النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٦٤م.

٤٣. حسن: حسن إبراهيم (دكتور): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٤. حمدان: جمال حمدان (دكتور): استراتيجية الاستعمار والتحرير، الهيئة المصرية للكتاب، مهرجان القراءة للجميع - مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م.

٤٥.: شخصية مصر، الهيئة المصرية للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

٤٦. خطاب: محمود شيت (اللواء الركن): قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤٧. الرئيس: محمد ضياء الدين (دكتور): الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧م.

٤٨. الساداتي: أحمد محمود (دكتور): تاريخ الدولة الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.

٤٩. سيد: أحمد فؤاد (دكتور): الإسلام والثقافة العربية في بلاد ما وراء النهر، آسيا الوسطى والقوقاز، دار الغد العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥٠. شلبي: أحمد شلبي (دكتور): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء الثامن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م.

٥١. عبد اللطيف: عبد الشافي محمد (دكتور): أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، دراسات إسلامية، العدد (١١٤)، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٥٢.:العالم الإسلامى فى العصر الأموى - دراسة سياسية - الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. (لم تذكر دار الطبع).
٥٣. عزب: خالد عزب (دكتور):بخارى الشريفة، تاريخها وتراثها الحضارى، مكتبة مدبولى، القاهرة، (بدون تاريخ).
٥٤. أبو العلا: محمود أبو العلا (دكتور):المسلمون فى الاتحاد السوفيتى - سابقاً - دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م.
٥٥. فيصل: شكرى فيصل (دكتور):حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول - دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.
٥٦. محمد: أحمد سيد (دكتور):الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
٥٧. محمد: أحمد محمد (دكتور):بخارى فى صدر الإسلام، دارالفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٢م.
٥٨. محمود: حسن أحمد (دكتور):الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٨م.
٥٩. هويدى: فهمى هويدى: (الأستاذ): الإسلام فى الصين، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، عالم المعرفة، العدد (٤٣)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

خامساً: المراجع الأجنبية المعربة:

٦٠. آبا: أوقطاي آصلان: فنون الترك وعمائرهم، ترجمه عن التركية، أحمد محمد عيسى، مطبعة رنكلر، استانبول، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦١. آرنولد: توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام - بحث فى نشر العقيدة الإسلامية - ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى، النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٠م.
٦٢. بارتولد: فاسيلي فلاد يميروفتش (ت ١٩٣٠م): تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية للكتاب، الألف كتاب الثانى، العدد (٢٣٥)، القاهرة، ١٩٩٦م.
٦٣.: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمه عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٦٤. براونستون: ديفيد، وأيرين فرانك: طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، العدد (٧)، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٦٥. تومكين: فيتالى، وأندرية نيدفيتسكى (ت ١٩٣٢م): بخارى، ترجمه عن الروسية، صلاح صلاح، منشورات المجمع الثقافى، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٦٦. جيبون: إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثانى، العدد (٢٥٨)، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٦٧. شاخت: جوزيف، وكليفورد بوزورث: تراث الإسلام، الجزء الأول، ترجمة د. محمد زهير السهورى، تعليق وتحقيق د. شاك مصطفى، مراجعة د. فؤاد زكريا، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد (٨)، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

٦٨. فامبرى: أرمنيوس: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة د. أحمد محمود الساداتى، مراجعة د. يحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

٦٩. كريستنسن: آرثر (ت ١٩٤٥م): إيران فى عهد الساسانيين، ترجمة د. يحيى الخشاب، مراجعة د. عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية للكتاب، الألف كتاب الثانى، (لم يذكر رقم العدد) ١٩٩٨م.

٧٠. لسترنج: كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧١. هايد: ف هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ٤ أجزاء ترجمه عن الفرنسية، أحمد محمد رضا، مراجعه د. عز الدين فوده، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.

سادساً: المراجع الأجنبية

(72) Gibb: H . A . R:

- . The Arab Conquests in central Asia London, 1923, The Rayal Asiatic Society. VoI. 11.

سابعاً: الدوريات العلمية:

٧٣. خطاب: محمود شيت (اللواء الركن): «الأحنف بن قيس التميمى، فاتح قاشان وخراسان» مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد الحادى عشر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧٤. دائرة المعارف الإسلامية: مجموعة من المستشرقين، ترجمة

إبراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، حسن عثمان، د. عبد الحميد
يونس، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩-١٩٧٤م.

٧٥. عبد الحميد: سعد زغلول (دكتور): «الإسلام والترك»، المختار
من عالم الفكر، دراسات إسلامية، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٣م،
المجلد الأول.

٧٦. مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات: ملف الأقليات
الإسلامية، الجزء الثانى، ١٤٢٤هـ / ملف الجمهوريات الإسلامية فى
آسيا الوسطى، ١٤٢٤هـ.

ثامناً: الرسائل العلمية:

٧٧. إبراهيم: مصطفى شوقى: التراث الحضارى الإسلامى فى
جمهوريات وسط آسيا الإسلامية - دراسة للعمارة والفنون، رسالة
ماجستير معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، تحت رقم
(٧٠٠، فنون)، ٢٠٠١م.

٧٨. جمعه: أحمد أمين محمد: المؤسسات الإسلامية فى منطقة
آسيا الوسطى، دراسة حضارية معمارية أثرية، رسالة دكتوراه، معهد
الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، تحت رقم (٧٠٠، فنون)،
٢٠٠٢م.

٧٩. سلطان: سعيد أحمد محمد: التأثير الأيديولوجى للروس على
المجتمعات الإسلامية بوسط آسيا «أوزبكستان». رسالة ماجستير، معهد
الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، تحت رقم (٥٠٠) ٢٠٠٣م.